من مشكلاتنا الاجتماعية

الزواج والمهور

وأثرهما في الحياة الاجتماعية

تأليف

عبد العزيز المسند



من مشكلاتنا الاجتماعية



الزواج والمهور

وأثرهما في الحياة الاجتماعية

تأليف

عبد العزيز المسند



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، واصلي وأسلم على رسوله الأمين وبعد ..
لي خلق يكون احيانا سببا فى اتعابي وقلقي ، ذلكم هو احساسي بمشكلات الآخرين والانفعال معها ، والشعور بأن مشكلة صديقي أو محدثي هي مشكلتي الخاصة ..

ولا أدري أهو مصادفة أم أنه بسبب هذا الشعور صار بعض الناس يعرضون علي مشكلاتهم ، ويبسطون ما يعترض طريقهم فى بحر الحياة الواسع . يطلبون مني المشاركة فى تفهمها وحلها ، وكان بعضهم يقدم بين يديه هذا البيت :

ولا بد من شكوى الى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجع

وكنت انطلاقا من طبعي واحساسي انغمس فى مشكلاتهم ، واجمع اطرافها وأحاول المواساة والتسلية وأحيانا أتوجع .. وقد أصل الى حل فى النهاية . وكان من أكبر ما مر بي وتردد على مسامعي مشكلات الزواج والمهور وما يترتب عليهما . فقد ملأت القلوب والمسامع ، وشغلت الأوقات ، وتسببت فى اسعاد بيوت ، وتقويض أخرى ..

ولما كانت هذه المشكلة من صميم الحياة ، تتعلق بحياة كل واحد منا فهي مشكلة الرجل ، والمرأة ، والكبير والصغير ، تتصورها الاسرة بكل افرادها ، ويعيشها المجتمع فى مختلف ظروفه ، ـ فلو استعرضنا بيتا واحدا لوجدنا فيه متزوجين ، وآخرين على أبواب زواج ، أو فى الطريق الى الزواج ـ .

وحيث أن هذه المشكلة ما زالت تتجدد ، وتلبس كل يوم ثوبا جديدا ، حتى غدت مشكلة اجتماعية يئن منها المجتمع الحاضر ، وبما أن الوقت ملائم للاهتمام بهذا الموضوع الحيوي ، وضرورة بحثه جديا ، ومحاولة وضع النقط فيه على الحروف .

فقد عزمت على أن أكتب بحثا حول هذا الأمر ، الهدف منه الدعوة الى تخفيف هذا العبء الثقيل الذي أثخن كاهل الشباب والشابات ، وأورث الحسرة فى صدور أوليائهم . والهدف منه أيضا دعوة المصلحين لوضع أيديهم على الحل . وسوف استعرض فيه الزواج والمهور فى التاريخ ، وأورد نماذج منها ، واقارن بينها وبين أشكال الزواج فى عصرنا الحاضر .

أرجو أن أوفق لعلاج المشكلة علها أن تجد قلوبا حية ، لديها الاستعداد للعمل والتنفيذ ، والجرأة حتى يبقى النافع المشروع ، وينتهي المستحدث الضار. (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب)

عبد العزيز بن عبد الرحمن المسند

المشكلة

بين يدي الحديث عن الموضوع يجب التنبه الى أمر مهم وهو مـــاذا نعني بالمشكلة ..

هل الزواج من حيث هو مشكلة ؟ وهل مشروعية المهر مشكلة ؟

الجواب : لا .. بل الزواج ضرورة اجتماعية لبناء الحياة ، ولبقاء النوع الانساني ، وهو أمر محبب للنفوس ، وعمل فطري بالنسبة لكل المخلوقات ، به تتقارب القبائل ، وبه تبنى الأسر وتتكون الشعوب .

ولكن المشكل هو ما أحدثه الناس فيه مما لا يمت للزواج بصـــلة ، ولا يرتبط فيه بعرف ولا عقل ، ولكنه أصبح بفعلنا نحن شيئا ملازما للزواج لا ينفك عنه ولا يتم بدونه ، وكأنه هو المقصود ، والزواج فرع عنه وتابع له . وهذا هو ما نعني بالمشكلة ، وما سنعالجه بهذا البحث ...

والمشكلة هنا تكون قبل الزواج .. وذلك في الخطبـة ، والخاطبين ، والمهر ، وتحضيره .. وعند الزواج مثل :ـ التقاليد ، والمظاهر ، والولائم ، والحفلات ، والدعوة ، والمدعوين ، وطريقة الزواج .

وبعد الـزواج .. الحياة الزوجيـة ، والعلاقة بين الزوجين . والبيت والأسرة ، وأقارب الزوجين ، والحموات ، والجيران ، والبيت .

وفي نتائج الزواج .. الأولاد .

عموم المشكلة : ـ

يمكن القول بأن مشكلة الزواج أو المهور مشكلة اجتماعية بالنسبـة لكل العالم .. ولا غرو أن يكون الزواج من المشكلات الاجتماعية المهمة ، وأن يكثر الخلاف بين الزوجين لأسباب كثيرة ، ولسبب واحد هـو أهمها ـ وهو كون الزوجين يعيشان في بيت واحد أربعا وعشرين ساعة ، ويشتركان فيما يحدث خلال هذه الساعات ـ فلو أن أحدنا قضى مع زميله ساعة واحدة في مكان واحد ليس فيه غيرهما لحدث بينهما مشكلات عديدة .. فالحياة

الزوجية وهي العمر كله أولى بذلك . لكنها تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والسكان .. وعلى الرغم من كل ما يعانيه الناس من أمور الزواج فان المملكة العربية السعودية قد حظيت بنصيب وافر من هذه المشكلة ..

ويمكن أن نلخص بعض الأسباب لذلك فيما يأتي :

أولا : تمكن العادات والتقاليد العربية في نفوس وطباع السكان ، واعتقادهم بأن مخالفتها عار ، تعاب به القبيلة أو الأسرة ، ويؤثر على سمعتها ومنزلتها في المجتمع .

ثانيا : عدم الاقدام على التجديد ، أو سلوك أمر غير معروف .

ثالثا : الحرج في بحث الزواج والأمور المحيطة به بحيث يؤثر على الطرفين المتقاربين أي تعليق أو تهامس في فرع من الفروع .

رابعا : ترك أكثر التصرفات للنساء بحجة أن هذا أمر يخصهن وأنهن أعرف وأدرى بأمور النساء وما أشبه ، هذه التعليلات التي أضاعت لب الموضوع ، ولم تبق منه سوى القشور .

خامسا : عدم تفاهم الزوجين أو أوليائهما على الأشياء التي يجب أن تتخذ بهذه المناسبة . فيكون كل منهم حذرا من الآخر ، حريصا على مجاملته .

سادسا : تكاثر الرجال ، بسبب هدوء الأحوال ، وتحسن المستوى الصحي والرغبة في الزواج وفي تعدده عند البعض لعدم وجود ما يشغل باله عن ذلك .

سابعا : اليسار الذي يتصف به أكثر سكان المملكة بحيث يتوفر لديهم المال وفي سبيل الحصول على رغباتهم يسترخصون كل ما ينفق في هذا السبيل .

الزواج في اللغــة

هذه المادة تعني في اللغة الاقتران والاجتماع والزواج والارتباط ..
والرجل زوج المرأة وهي زوجه .. وهذا الفصيح في لغة العرب ولا يقـال زوجة بالهاء الا في المواريث عند الفقهاء خشية الاختلاط ، وسمي هذا النـوع من التقارب زواجا من الازدواج وهو الاشتباه فالزوجان اثنـان متشابهان متقاربان .

تاريخ الزواج :

منذ أن هبط آدم الأرض وكتب عليه وعلى ذريته أن يعيشوا فـوق ظهرها .. والزواج شيء أساسي وأمر ضروري لحياتهم .

وقد بدأ أول زواج في الدنيا حينما تزوج أبونا آدم عليه السلام أمنـا حواء .. فلقد وجد لديه شعور نفسي ورغبة أكيدة في البحث عن شيء ينقصه وهو المرأة فتزوجها وعاش هو واياها وحيدين في الأرض . ثم ولدت بنـين وبنات فكان يجري زواج الذكور بالاناث .. حتى كثرت العائلة ..

فحد من زواج الأخ باخته الى زواجه بالانثى التي ليست من طبقتـه وتكاثر النسل ، واستمر الزواج .. ومرت عليه عدة تغييرات في الأديـان لا تعدو أن تكون قيودا ، أو تخصيصات ، فكان المجوسي يتزوج اختـه ، واليهودي يتزوج ابنة اخته .

حتى جاءت فترة ما قبل الاسلام فكان الرجل يرث امرأة أبيه بعد وفاته فتكون فراشا له دون عقد أو تزويج . وقد يتزوج كثيرا من النساء ، عشـرا وعشرين وأربعين . ومهمـا كان في طريقـة الزواج ، وشروطه ونظامـه من الاختلاف ، والتباين ما وصل الينا علمه وما لم نعلمه ، فان تتيجته بقاء النوع الانساني والاحتفاظ بالحياة على البسيطة ونمو الأمم وكثرة عددها ..

واذا كثر عدد الجنس البشري عمر الأرض واستخرج خيراتها ، وبنى ديارها واعتنى بما على ظهرها من حيوانات ، ونبات ، وما يلزم لحياة البشر ، فتستقر الحياة ويعيش الناس عيشة كريمة تتوفر لها كل مطالب الحياة ..

وهو مع ذلك أمر فطري قد استقر في احساس وشعور الرجل والمرأة فكل منهما يبحث عن الآخر وكل منهما يحس بنقص في نفسه لا يكمله الا وجوده بجانب الآخر ..

ومهما توفر للرجل والمرأة من المأكل والمشرب والراحة الجسمية فان ذلك لا يغنيه عن البحث عن شريك ، فهو يشعر دائما بفراغ نفسي لا يملؤه الا هذا اللقاء .

اكتمال هذا المعنى في رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) :

حينما جاء الاسلام سما بالزواج عن الحيوانية ووضعه في مكانه اللائق به . فشرع انصالا كريما بين الرجل والمرأة ، يعلي من قدرهما ، ويناسب كرامة الانسان وأفضليته على المخلوقات . ويحقق المعاني الانسانية المقصودة من الزواج .

فكان أول عمل نبيل قام به أن أبطل أعمال الجاهلية ، وسما بالمرأة عن منزلتها المهانة الى أعلى الكرامات وأرفع الدرجات ، فجعلها شريكة الرجل وضمن حقها ومنع التزوج بالمحارم حفاظا منه على علاقات الأسرة ، وبقاء الاحترام العائلي المتبادل بين أفرادها ..

وحدد تعدد الزوجات ، ونظمه بطريقة تكفل مصلحة الرجل ولا تذهب بحق المرأة ..

وأوضح دواعي الزواج وموانعه وحقوق الزوجين ..

ويمكن أن نلخص الأهداف التي قصدها الاسلام من الزواج بما يلي : ـ

أولا ــ تلبية الرغبة الطبيعية المستقرة في الرجل والمرأة التي جعلها الله عز وجل لكمال الحياة البشرية وايجاد نفس أخرى يسكن اليها الرجل ، ويأوي اليها ويبثها شكواه وحزنه ، ويطلعها على ما في نفسه لتخفف عنه ، وتواسيه وتسليه ، ويجد الراحة التامة بذلك ، ومن أجل كمال هذا الارتباط جعل الله بين هاتين النفسين مودة ورحمة •• يقول الله تعالى (ومن آياته أن خلق لكل من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون[1]) ••

حقا ان من يفكر يجد أن العلاقة تبنى على المودة والرحمة • فاذا وجد الحب بين اثنين تمت السعادة واكتمل التوافق وأمكن بناء عش سعيد ، فان الحب يقضي على كل نقص ، ويغطي كل عيب ، ويحسن كل قبيح •

فعين الرضا عن كل عيب كليلة
كما أن عين السخط تبدي المساويا

وهذه الصفة التي هي الحب منتهى السعادة وغاية الارتباط بين شخصين يضمهما مكان واحد وتجمعهما حجرة واحدة ••
واذا نقصت أو ضعفت المودة فان شيئا آخر يكون بمثابة صمام الأمان في المحافظة على الحياة الزوجية وبقاء العشرة وسلامتها من الانفصام ، هو الرحمة ••

فالرحمة أساس الارتباط العام بين البشرية وبين الحيوانات ، وبين كل مجتمع يعيش تحت سماء واحد وهي في الحياة الزوجية أخص وألصق •

---

(١) الروم (٢١)

ثانيـا ـ تكاثر النسل وحفظ النوع الانساني من الانقراض ، ولا شك أن في النسل ابقاءا لذكر الرجل ، وتخليدا لاسمه ، واستمرارا لأسرته •

(والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكـم بنين وحفدة ، ورزقكم من الطيبات[1] ••)

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (تناكحوا تناسلوا تكثروا فاني مباه بكم الأنبياء يوم القيامة) •

ولا شك أن كثرة النسل يجعل الأسرة قادرة على التعاون والبناء ومجابهة الأعـداء •

ثالثـا ـ تمام الدين ، وطهارة النفس والبدن وحفظ السمعة ، حيث تعف الرجل زوجته ويجد بها متنفسا لشهواته ، فلا يفكر في مقـاربة المعاصي • ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطـر الثـاني ••)

رابعا ـ تقارب العوائل وتعارفها يمكن الصلات بين الأجانب حتى يكونوا أسرة واحدة ، فبالزواج تتسع دائرة المعارف ، وتتماسك العشائر ، وتترابط الأسـر •• فهذا خال وهذا ابن خاله •• وهذا نسيب وهـذا صهـر ••

خامسا ـ اعانة الرجل وتهيئة بيت مريح له ، ليتفرغ لأعماله خارج البيـت فيحسن علاقاته بالناس الذين تربطهم به روابط العمل والتجارة • وهو مطمئن النفس لا يشغله البيت ولا حوائجه ، فاذا عاد الى بيته وجده مرتبا منسقا ، ووجد نفسا تحوطه بحنانها ومودتها ، وتتفقده في ملبسه ومشربه وفي شعوره النفسي ، ترضى لرضاه ، وتسخط لسخطه ، وتبذل كل جهدها لاسعاده ••

---

(١) النحل ٧٢

هذه بعض المعاني التي قصدها الاسلام من الزواج وهي معان تكتمل معها الحياة وتحلو وتستمر ••

هل الزواج مشكلة :

لم يكن الزواج في يوم من الأيام مشكلة ، ولم يكن شيئا مكروها ، بل كل كلمة فيه تعني الحب والسلام والأمن ، وتعني الاستقرار والسعادة ••

ولكن الذين يكتبون ويتحدثون عن الزواج ويصفونه بأنه مشكلة يعنون بذلك ما ينشأ عنه من مشكلات بسبب تصرفات الغير ••

ولعل الذي أوجد المشكلات الزوجية ، ووسم هذا المعنى السامي بما يدنسه ويخدش كرامته ، هو ما أحدثه الناس فيه من المبتدعات والتقاليد التي أصبحت وكأنها جزء لا يتجزأ من الزواج ، وهو منها براء • فما دخل الزواج بطمع الوالدين أو تحكم الوالدة أو جهل الأولياء •• وما دخله بشيء يدعى الفستان يشترى بأضعاف وزنه ذهبا • وما علاقته بحفلة ساهرة ترهق العقول والجيوب ، ولحساب من ؟ لحساب الشيطان أحيانا ، ولحساب الاباعد كثيرا • والا فان الزوج يهمه أن يمسك بيد زوجته ، ويخلو بها ، ويهدأ في مكان مريح بعيد عن الضجيج و الازعاج ••

وكلما يعمل في حفلات الزواج ، وكلما يبدع في عرضه ينتهي صباح ليلة الزواج والزوج والزوجة بعيدان عنه ، بل قد يقلقهما ويقض مضجعهما حسا ومعنى •

والناس — مع الأسف — مدفوعون الى ذلك دفعا ومسابقون اليه سوقا ، ولو سألت أحدهم عما يأتي من الأمر أو يمارس من العادة لقال اننا مثل الناس •• وهذه العادة •• !

ان هذا التفكير وهذا العمل هو الذي جعل بعض الناس ينسب المشكلات الى الزواج ، وجعل الشباب يظنون أن في الزواج مشكلات وهم لا يعلمون • !

الا أن الزواج خير كله ولن يؤثر عليه عمل الناس في وقت أو زمن معين • فهذه عادات وتقاليد تزول وتتغير ••

الهاربون من الزواج

على مر التاريخ ، وجدت أفكار شاذة تخالف الطبيعة البشرية ، وترغب عن المرأة ، وتزهد في العيش معها ، وهي تختلف باختلاف معتنقيها ..

ومن هذه الأفكار فلسفات ظهرت قبل الاسلام (في فارس) ترى : « أن العالم كله شر وقد ايس من صلاحه ، والطريق الى اصلاحه فنـــاء العالم ، والامتناع عن الزواج هو الوسيلة الى الاسراغ الى فناء البشرية » .

وقد نسي هؤلاء أنهم أول من سيفنى وسيذهبون مع فلسفتهم الى غير رجعـــة ..

وفي النصرانية أحدث رجال الكهنوت (الرهبانية) وهي دعوة الى الهرب من الحياة ، واللجوء الى الدير ، والامتناع عن الزواج ، لأن المرأة في نظرهم شيطان في صورة انسان ، والقرب منها يلطخ المرء بالآثام ويبعده عن الملكوت .

وفي العصر الحاضر ظهرت في الغرب بعض الأفكار التي تعتنق العزوبية مذهبا ، وتصب غضبها على المرأة وتصفها بأنها حية تسعى ، وانها عدو للرجل تتحين الفرصة للايقاع به ، فاذا تزوجها سنحت لها الفرصة للتحكم بـــه ، وتطويقه بالقيود ، بعد أن كان حرا .

وقد وجد نادرا من قلدهم من الشباب في الشرق فامتنع عن التزوج وعد ذلك تقدما ، وفهمـــا للحياة ، ولكنهم لا يلبثـــون أن يرجعوا عن اعتقادهم ، ويكفروا بمبدأهم ويعودوا للحياة الطبيعية العادية . بل أنهم يكونون أكثر تمسكا بالمرأة ، وأكثر خضوعا لها وطاعة وتلبية لرغباتها ..

ولا شك أن كل دعوة ضد الزواج انما هي غير جادة ، وهي هـــروب من المسئولية ، وخروج عن المألوف ، وعن طبائع الرجال وقتل للغريزة الجنسيـــة ومعارضة لطبيعة الحياة التي ركبت على هذه الغريزة لتستمر في حياتها ..

وهي عيش بدون أمل ، وحياة بدون هدف ، فاذا كان هدف المرء مـــن حياته أن يأكل ويشرب وينام ، فهذا يماثله فيه كل حيوان .

وأدعياء العزوبية محرومون من لذة الحياة وطيباتها ومستقبلها ، يعيشون في قوقعة محدودة ، ويشبهون في حياتهم الأطفال العابثين الذين ليس عليهم تبعة ولا واجب .. فضلا عن المضايقات النفسية التي يتعرضون لها حينما يلتفتون حولهم فيرون اخوانهم وجيرانهم وأصدقاءهم يربون الأولاد ويتمتعون بالحنان عليهم .. ويسعدون بالقرب منهم ، ويحيون الحياة من أجلهم ، بينما يعيش هؤلاء وحيدين أذلاء .. وحالهم لا تعدو أحد أمور :ـ

١ ـ اما أن يكونوا من فصيلة غير الآدميين ، ومن طبيعة غير طبائع البشر ، وهذا مستحيل .

٢ ـ واما أن يكونوا مصابين بفقد الاحساس الجنسي الفطري والعطف الانساني ، وهذا مرض علينا أن ندعو لهم بالعافية واللطف .. وفي هذه الحال لا لوم عليهم .. ولكن يجب أن يعترفوا بالحقيقة وألا يتظاهروا بأنهم أصحاب مبدأ وفكرة ، فالاعتراف بالحق فضيلة وراحة ..

٣ ـ واما أن تكون الأنانية قد سيطرت عليهم وتحكمت في تصرفاتهم ، فنفسوا على غيرهم مشاركتهم في حياتهم وأرادوا كل الحياة لهم وحدهم وهذا غاية البخل ، ومنتهى تحجير الواسع الذي وسعه الله على عباده .

٤ ـ أن يكونوا فقدوا الأمل في الحياة .. فهم ينتظرون نهايتها فلا يحبون أن يجنوا على غيرهم ما دامت حياتهم قصيرة ..

ولا شك أن النتيجة الحتمية للعزاب اذا غلبتهم الشهوة ، وتحركت الغريزة أن يسارعوا الى الحرام ويشبعوا رغباتهم كيفما تيسر ..

وقد رفض الاسلام هذه الأفكار الشائنة ، والمذاهب المنحرفة ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التبتل وأكد أنه (لا رهبانية في الاسلام).

وقد حصلت قصة طريفة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، اذ توجه ثلاثة رجال الى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها فقالوا : وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ..

قال أحدهم : أما أنا فاني أصلي الليل أبدا . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر .. وقال الثالث : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلم بخبرهم . فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا .. ! (أما والله اني لأخشاكم لله وأتقاكم له . لكني أصوم وأفطر وأصلي ، وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني[1] ..)

هذا هو نبي الأمة .. وهذا هو دين الاسلام الذي نظم الحياة البشرية العامة والخاصة وأمور الدين والدنيا ، وراعى الخلجات النفسية والشعور الداخلي والأحاسيس ..

ونحمد الله أنه لا يوجد بيننا من يعتنق هذا المبدأ ويؤمن به من صميم قلبه وان تظاهر بذلك فترة عارضة من الزمن ثم عاد فرجع عنه ..

الزواج المبكر

يكثر في بلادنا التبكير بالزواج ، لما تتصف به بيئتنا من تحفظ ، وللتربية الخاصة التي يمليها الاباء والأمهات الى أولادهم منذ الصبا حتى بلوغ سن المراهقة ، وهذه عادة طيبة لها أضرار ، ولها فوائد . وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشباب الى الزواج فقال (يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أحصن للفرج وأغض للبصر ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء) واذا أمعنا النظر في هذه الدعوة النبوية وجدنا انها لم تطلق الأمر بل حددته بوجود الباءة .

والباءة تعني كل دواعي الزواج المعنوية والحسية ومعنى هذا انه يجب أن نفكر قبل أن نزوج أولادنا في الاستعداد الشخصي بالنسبة للزوج هل نضج فكريا وجسميا وهل استعد لتحمل هذه المسئولية الكبيرة ، ثم نفكر في الزوجة كذلك وفي التجانس بينها وبين حال الزوج جسميا وثقافيا وتربية

---

(١) البخاري ومسلم .

وبيئة ثم نفكر في البيت الذي سيضمهما هل يتلائم مع القادمين الجديدين ، وهل يتناسب والحياة الجديدة ، فاذا اكتملت كل هذه الأمور كان لنـــا أن نخطو خطوات لتزويج شبابنا • لقد دلت التجارب الواقعية أن الزواج المبكر يتصف دائما بالارتجالية وبعدم التركيز وان تيجته غير مضمونة في الغالب • وقد أورد ابن الجوزي في كتابه (صيد الخاطر) قوله : « واختار للمبتدىء في طلب العلم أن يدافع النكاح مهما أمكن فان أحمد بن حنبل لم يتزوج حتى تمت له أربعون سنة • وهذا لاجل جمع الهم فـــان غلب عليه الأمر تـــزوج واجتهد في المدافعة بالفعـــل لتتوفر له القوة ، ثم ينظـــر مـــا يحفظ من العلم فان العمر عزيز والعلم غزير » •

وقد شجب علماء النفس الزواج المبكر ووصفوه بالفشل وعـــددوا أخطاءه وآثاره النفسية على الزوجين ، وقد أكد علماء الصحة وجوب التروي والتأكد عن حال الزوجين الصحية واستعدادهما الجسماني • ومن هنا علمنا أن التسرع بتزويج المراهقين له نتائج غير محمودة ، وغالب هذا النوع لا ينجح فضلا عن أنه يعوق كثيرا من الشباب دون مواصلة تعليمهم وبناء مستقبلهـــم كما يجب• فعلينا أن نعد أبناءنا وبناتنا اعدادا خاصا ونربيهم تربية كاملة حتى اذا بلغوا السن المناسبة للزواج ، وكانت عقولهم على قدر أعمارهم ، نضوجا وكفاءة وثقافة ، مكناهم من الزواج ••

أما ما حصل من نجاح بعض الحالات التي تم فيها الزواج مبكرا فان هذه نادرة لا يقاس عليها ، وكانت الحياة سهلة تساعد على نجاح الزواج واستمراره أما الآن فان الحياة قد تعقدت وكثرت مطالبها ، وتغيرت نظرة الناس اليها • والشاب الذي يتزوج صغيرا لا يؤمن أن يغير رأيه اذا كبـــر ، وأن تختلف نظرته الى زوجته فتكون هي الضحية ، وقد يترتب على ذلك نتائج غيـــر محمودة ، فلو أن شابا في المرحلة الثانوية تزوج فتاة صغيرة في مثل سنـــه وعاش معها فترة قصيرة ونجح في دراسته وأكمل تعليمه وسنحت له فرصة السفر خارج بلاده ••

الى هنا وكل شيء طيب •• ولكن •• ان هذا الشاب المسكين الـذي كان يعيش في هذا المجتمع المسلم المحافظ سعيدا مع زوجته قانعا بحياته سيرى نفسه فجأة في أوربا أو أمريكا وستنقلب عليه الأوضاع رأسـا على عقب • أترونه سيبقي تفكيره أيضا •• انه سيتغير بالتأكيد •• ومن يأمن أن تتحول رغبته بالنسبة الى زوجته وينخدع بمظاهر المدنية ، وبريق الحياة في الخارج • ان الضحية بالتأكيد ستكون هذه الفتاة البريئة التي ذابت في حبه وعلقت الآمال الواسعة على مستقبلها معه ••

والوقاية خير من العلاج •• فخير لها أن تبقى في انتظار الزوج الـدائم من أن تسارع الى زوج مؤقت ••

اختيار الزوجة

ان اختيار الزوجة أهم مرحلة في بداية الحياة الزوجية ، فالزواج رابطة وثيقة ، وعلاقة انسانية مقدسة دائمة ، تحتاج لمجهود دقيق للعثور على الفتاة المناسبة المطابقة لمستوى الزوج من كل النواحي •• فعلى من أراد التزوج أن يختار شريكة حياته اختيارا مبنيا على المعرفة التامة ، والتعقل والتفكير الراجح لأن من سيختارها ستكون قطعة منه وستكون ربة بيته ، وأم أولاده •

وقد وضع الاسلام قواعد لاختيار الزوجة الصالحة هي :ـ

أولا ــ أن تكون ذات دين •• لأن المتدينة يمنعها دينها من طلب ما ليس لها ، ويدفعها الى اداء ما عليها من حقوق •• وقد وصفها الله تعالى بقوله (فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ اللـه[1]) ووصفها نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله (تنكح المرأة لأربـع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك) وذات الدين يطمئن اليها القلب ، ويأمنها المرء على نفسه وماله ونفسها ، وغير المتدينة لا تطيب الحياة معها ولا يحصـل بقربها استقرار ولا سعادة •

---

(١) النساء (٣٤)

ثانيـا ــ أن تكون ذات خلق حسن •• لتستطيع بذلك التودد الى زوجها والتحبب اليه ، وقد وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلـــم بقوله : (تزوجو الودود ••)

فاذا كانت عاقلة حسنة الخلق هادئة الطبع عاملت زوجها معاملة حسنة ، وجنبته المشكلات والنزاع • وهيأت له حياة مريحـة ، وبالعكس ، فالحمقاء تقلب البيت الى جحيم لا يطاق بسوء تصرفها وقبيح فعلها •

ثالثـا ــ أن تكون من أسرة كريمة •• لأنها ترث الأخلاق وتأخذ الطباع من بيتها ، فاذا كان بيتها معروفا بالصلاح والشرف والوقار كانت حرية بالكمال والعقل والاتزان ••

وقد عنى رسول الله صلى الله عليه وسـلم هذا المعنى بقوله : (اياكم والمرأة الحسناء في المنبت السوء ••) •

وجاء في الأثر : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس) وهذه ناحية مهمة ، ومعرفتها سهلة ميسورة • فالناس معادن ، والفضل واضح والشر أوضح ••

ومهمـا تكـن عنـد امـرىء مـن خليقـة
وان خالهـا تخفـى علـى النـاس تعـلم

رابعا ــ أن تكون بكرا •• وخاصة للشاب الذي لم يتزوج بعد لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجابر : (هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك) • وذلك ما لم يكن هناك مصلحة من التزوج بالثيب من توفر الشروط فيها ، وملاءمتها لسنه ووضعه الاجتماعي ، فانها تكون أفضل في هذه الحـال ••

خامسا ــ أن تكون جميلة مقبولة •• حتى يحصل بها الاعفاف والاحصان ، وغض البصر وسكون النفس ، وكمال المودة ••

وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له : (يا رسول الله أي النساء خير ؟ قال : التي تسره ان نظر وتطيعه اذا أمر ولا تخالفه في نفسها ولا ما له بما يكره) .

الخطبة

بعد أن تتحقق الأمور التي ذكرناها في اختيار الزوجة أو أكثرها ، وبعد أن يتحرى الرجل كثيرا عن الفتاة التي سيخطبها ، يتقدم الى وليها يطلب الزواج منها . وهنا أمر مهم يجب التنبه له ، وهو أن تكون الصراحة رائد الطرفين ، فعلى الزوج أن يقدم نفسه تقديما يترجم حقيقة نفسه وحياته دون مبالغة أو اخفاء لبعض الجوانب .

وعلى ولي الزوجة أن يخبر الخاطب بحال موليته من جميع الوجوه ، فيذكر له مما فيها من المحاسن وما فيها من المساويء ، حتى يكون الاثنان على بينة من أمرهما ، وحتى لا ينفصم حبل العلاقة بعد الارتباط .. ومعلوم أن كل شيء سيتبين ، وأن الحقيقة ستظهر ، ويبدو الصبح لذى عينين وستكون النتيجة سيئة ان لم تتسم المعاملة بطابع الصدق والصراحة ..

ونستطيع أن نقول بكل أسف أن هذا المبدأ لا يوجد الا عند قليلين ممن يقدرون قيمة الحياة الزوجية ويدركون أهمية هذه الرابطة المقدسة الوثيقة ..

وكثير من الناس يرى انها صفقة من صفقات البيع التي اعتاد أن يستعمل فيها أنواع الحيل والمكر .. ولا يهمه بعد ذلك ما ينتج من المشكلات والامور التي لا تحمد عقباها ..

خطورة الخاطبة

ان أسوأ انسان في أشخاص الزواج ووسطائه هي الخاطبة التي تسعى لتزويج الناس عامة •• وهي التي تتخذ من هذا العمل حرفة تستدر بها المال وتبغي من ورائها الكسب •• مثلها في ذلك مثل دلال السلعة ، يهمه أن تباع لينال الأجر ••

والخاطبة احدى امرأتين : امرأة جاهلة عبارة عن ببغاء تحفظ ما يقال لها فتفرغه في أذن الآخر ، ولا يعنيها ما يحمل من معنى ويترتب عليه من نتائج • وهذه قد تخدع بابدال المخطوبة بفتاة أكثر منها جمالا وأبهى منظرا فتراها وتذهب للمسكين تصف له ما رأت ••

أو أن اكرام أهل المخطوبة لهذه المغفلة يكفي لاقناعها بأن ابنتهم جميلة وأهل للتزوج بها •• فتذهب تصف شيئا في مخها دافعه هذا الكرم ••

وأخرى شريرة تنصب فخها لتصطاد الباحثين عن المجهول ليقعوا في الفخ وتظفر هي بالجعل ••

وتستخدم هذه في نصب الشرك من أولياء المرأة لرجل معين •• فتأتيه ، وتسرد له عديدا من الأوصاف والمدائح التي لا تتوفر الا في هذه الفتاة •• وتصفها بالقمر ، والشمس ، والبدر ، واللؤلؤ ، والحورية ، والفريدة ، والفرصة النادرة ، والسعيد من يحوزها في بيته • وهكذا مما يقنع الخاطب بالاقدام على طلب يد المخطوبة ••

ويكفي هذه الشريرة أن تتم الصفقة وتنال قسطا من المال ، فان ظهرت النتائج طيبة كسبت بها حمدا وشهرة ، وان كانت بضد ذلك قالت اني بريء منك ، اني أرى ما لا ترون ••

ولنفرض أن الخاطبة كانت حسنة النية ، وامرأة طيبة ، وقريبة للخاطب ، وعزيزا عليها هو ، وتود اسعاده ، ولكن لا ننسى انها امرأة ، وانها عاطفية وان الذي يحلو للمرأة قد لا يناسب الرجل ••

فحذار أيها الاخوة من الخاطبة ، ولا تعتمدوا على قولها .. فكم من رجل كان ضحية لها ، حينما أحسن بها النية وصدقها بما تقول ..

خاطبة فى الجاهلية :

كان الحارث بن عمرو ملكا لكنده قبل البعثة بخمس وأربعين سنة ، فبلغه جمال ابنة عوف بن محلم الشيباني وكمالها وقوة عقلها ، فدعا امرأة من بني كنده يقال لها (عصام) ذات عقل ولسان ، وأدب وبيان ، وقال لها : اذهبي حتى تعلمي لي علم ابنة عوف .

فمضت حتى انتهت الى أمها ، فأعلمتها ما قدمت له ، فأرسلت الى ابنتها ، وقالت : أي بنية ، هذه خالتك أتتك لتنظر اليك ، فلا تستري عنها شيئا أرادت النظر اليه ، من وجه ، وخلق ، وناطقيها ان استنطقتك .

فدخلت عصام اليها ، فنظرت الى ما لم تر عينها مثله قط ، بهجة وحسنا وجمالا ، فاذا هي أكمل الناس عقلا ، وأفصحهم لسانا ، فخرجت من عندها وهي تقول : ترك الخداع من كشف القناع .

ثم أقبلت الى الحارث ، فقال لها : ما وراءك يا عصام ؟ قالت : صرح المخض عن الزبدة . قال : أخبريني ، قالت : أخبرك صدقا وحقا .

رأيت جبهة كالمرآة الصقيلة ، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة ان أرسلته خلته السلاسل ، وان مشطته قلت عناقيد كرم جلاها الوابل ، وحاجبين كأنما خطا بقلم أو سودا بحمم ، قد تقوسا على عين الظبية العبهرة ، التي لم يرعها قانص ولم يذعرها قسورة ، بينهما أنف كحد السيف المصقول لم يخنس به قصر ولم يمض به طول ، حفت به وجنتان كالأرجوان في بياض محض كالجمان ، شق فيه فم كالخاتم ، لذيذ المبتسم ، فيه ثنايا غر ، ذوات أشر ، وأسنان تبدو كالدرر ، يتقلب فيه لسان ذو فصاحة وبيان ، يحركه عقل وافر وجواب حاضر .. الى أن قالت :

فأما ما سوى ذلك فتركت أن أصفه ، غير أنه أحسن ما وصفه واصف بنظم أو نثر ، فأرسل الملك الى أبيها فخطبها ، فزوجه اياها .

فلما حملت الى زوجها ، قالت لها أمها ــ أمامة بنت الحارث :

أي بنية ، ان الوصية لو تركت لفضل أدب ، تركت لذلك منك ، ولكنها تذكرة للغافل ، ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغني أبويها ، وشدة حاجتهما اليها كنت أعنى الناس عنه ، ولكن النساء خلقن للرجال ، ولهن خلق الرجال .

أي بنية ، انك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العيش الذي فيه درجت ، الى وكر لم تعرفيه ، وقرين لم تألفيه ، فأصبح بملكه عليك رقيبا ومليكا ، فكوني له أمة يكن لك عبدا وشيكا .

يا بنية ، احملي عني عشر خصال تكن لك ذخرا وذكرا : الصحبة بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة ، والتعهد لموقع عينه ، والتفقد لموضع أنفه ، فلا تقع عينه منك على قبيح ، ولا يشم منك الا أطيب ريح ، والكحل أحسن الحسن والماء أطيب ا لطيب المفقود والتعهد لوقت طعامه ، والهدوء عنه عند منامه ، فان حرارة الجوع ملهبة ، وتنغيص النوم مغضبة ، والاحتفاظ ببيته وماله والارعاء على نفسه وجسمه وعياله ، فان الاحتفاظ بالمال حسن التقدير ، والارعاء على العيال والحشم حسن التدبير ، ولا تفشي له سرا ، ولا تعصي له أمرا فانك ان أفشيت سره لم تأمني غدره وان عصيت أمره أوغرت صدره ثم اتقي مع ذلك الفرح ان كان ترحا والاكتئاب عنده ان كان فرحا فان الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير ، وكوني أشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك اكراما وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما تكونين له مرافقة .

واعلمي أنك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثري رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت وكرهت . والله يخير لك [1] .

---

(١) قصص العرب جـ/٢

ليت الخاطبة في وقتنا تشبه (عصام) ، والأمهات يشبهن هذه الأم ٠٠ اذا لكان الزواج لدينا مثاليا ، والمشكلات معدومة ، والعلاقة الحسنة بين الزوجين متوفرة ، وبالتالي يستقر المجتمع ويتفرغ للعمل والبناء ٠٠

الخطبة بين الانطلاق والتزمت :

يسود في عصرنا الحاضر أعراف متناقضة بالنسبة للخطبة ، ففي بعض البلاد الاسلامية والعربية يخلو الخطيب بمخطوبته قبل اعلان الخطبة ، ويذهب بها الى المنتزهات العامه ، والأماكن البعيدة دون رقيب ، أو رفيق ، ويبقى معها وقتا طويلا ويتردد على بيتها كأنه أحد أفراد العائلة ٠

وفي هذه الأثناء تكون المجاملات قد تجلت في علاقتهما ، والظهور بالمظاهر المتكلفة ، والتحفظ في الكلام وتغيير عادة الأكل والشرب والنوم قد بلغت حدها ليبدو كل واحد منهما أمام صاحبه بما يظن انه يحوز اعجابه وينال رضاه ٠

ويتعاون الأهل مع ابنتهم في خداع صهرهم المنتظر ، فيبالغون في اكرامه ، ويحاولون تكييف البيت ومن فيه ليناسب ميوله واتجاهه ٠٠

وتبدو المخطوبة حمامة وديعة لا تعرف الى المشكلات طريقا ولا الى الشر سبيلا ٠

ويقوم الخاطب بدور الممثل الماهر يستعرض أعماله العظيمة وأفعاله الباهرة ، ومكانته المرموقة ، ويصور العش السعيد الذي سيسكنه هو ومخطوبته وكأنهما طيران قد نزلا من السماء والطهر يجللهما بوشاحه ٠

ومن هذا الباب شهر العسل الذي يحشد فيه الزوجان قواهما للظهور بالمظهر اللائق ، فاذا انتهى هذا الشهر وظهرا على حقيقتهما ، أصيبا برد فعل ، ومنيت علاقتهما بفتور وخيم عليهما صمت رهيب ، لا يلبث أن ينفجر شقاء ، ومشكلات ٠٠ وهذه عادة دخيلة على المسلمين والعرب ، لا تتمشى مع الدين ، ولا تناسب طبيعة البلاد وأهلها ٠٠

وفي الجانب الآخر تزمت رهيب ، اذ يخطب الرجل فتاة لا يعرفها ولا يرى منها شيئا ، ولا يقرب البيت الذي تسكنه ، وويل له ان حام حول هذا الموضوع ، بل قد يتجاوز الأمر حد المعقول ، فتوجد حالات تخطب فيها الأم ويتزوج الابن ، ويتم الزواج ، دون أن يرى الفتاة أحد من قريبات الزوج أو معارفه ..

وهاتان الطريقتان خطأ ، فالأفضل سلوك الأمر الوسط ، وتجنب الافراط والتفريط ..

رؤية المخطوبة

لو جازت التجربة في كل أمور الحياة ، ففي رأيي أنها لا تجوز في الزواج، فهل يصح أن يتم زواج على أنه تجربة يمر بها المرء ؟ فان نجحت فذاك ، والا فيدخل في تجربةأخرى جديدة ؟ ولصالح من هذا العمل .. ؟ انه ليس في صالح أي من الزوجين ، وهما المعنيان بهذه الشركة الجديدة ، التي ينفردان بها عن بقية الناس ..

ان الذين يمتنعون عن اتاحة الفرصة للخاطب ليرى مخطوبته هم الذين يشجعون اجراء التجارب في الزواج ، وهم الذين يفتحون المشكلات الزوجية على مصراعيها ..

فهل الزواج صفقة تجارية .. يتحلل منها المشتري أو يستغني عنها عندما لا تعجبه .. لا : ان الزواج رابطة مقدسة ، وخطوة هامة في الحياة ، يجب أن تكون على أساس ثابت ، وطريق واضح لا لبس فيه ..

ومن العجيب أن أكثر الذين يمانعون في رؤية المخطوبة ، هم الذين يتمسكون بالشعائر الدينية ، ويحافظون على التقاليد الكريمة ..

فمن أين جاءوا بهذه الفكرة ..

ان رأي الاسلام صريح واضح في أن للخاطب أن يرى من مخطوبته ما يدعوه الى نكاحها ، وهذه منقبة من مناقب الاسلام ، وفضيلة من فضائله • حيث أتاح للرجل أن يرى ممن عزم على التزوج منها بعض جسمها ، ليطمئن الى سلامتها من العيوب ، ويرى أثر ذلك على نفسه ، وما داخل قلبه بالنسبة لهذه المرأة ، فان ذلك احساس داخلي يستقر في النفس لا يدركه الا صاحبه • والعين دائما رسول القلب تترجم له وتبلغه وتوصل اليه ما يهمه ، فان اطمأن قلبه واستمرت رغبته ، أتم ما عزم عليه ، وان داخله شك أو فتور امتنع ، وذلك خير لهما ، فالوقاية خير من العلاج ، ورجوع من أول الطريق خير من الرجوع بعد التمادي فيه •

ثم هل المسكينة متاع يباع ويشترى ، أليست انسانة تحس وتشعر ؟ واليست هي التي ستتزوج •• أليست هي التي ستستقبل هذا الرجل فتسعد بقربه أو تشقى به ، أليس من حقها على الأقل أن تراه ولو مرة واحدة قبل أن تجد نفسها بين ذراعيه ، وفي فراشه ، وفي بيته ، وتحت تصرفه ••

ان الاسلام الذي جاء من عند الله قد نظم ذلك وأباح الرؤية صريحة لا لبس فيها ولا غموض •

الادلة على مشروعية الرؤية :

عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (اذا خطب أحدكم المرأة فان استطاع أن ينظر منها الى ما يدعوه الى نكاحها فليفعل ••) قال جابر ، فخطبت جارية فكنت اتخبأ لها حتى رأيت منها ما دعاني الى نكاحها فتزوجتها •• !

ويروي الشيخان أن المغيرة بن شعبة خطب امرأة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : (انظر اليها ! فانه أحرى أن يؤدم بينكما) فأتى أبويها فأخبرهما بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنهما كرها ذلك ••فسمعت

ذلك المرأة وهي في خدرها فقالت : ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن تنظر فانظر •• قال المغيرة فنظرت اليها فتزوجتها[1] •

وروى مسلم عن أبي هريرة قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فأخبره أنه خطب امرأة من الأنصار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنظرت اليها ؟ قال لا : ، قال : فاذهب فانظر اليها فان في أعين الأنصار شيئـــا ••) •

ان هــذا صريح واضح لا يقبــل الجدل في مشروعية رؤيــة الخاطب لمخطوبته •• ولم يختلف العلماء على هذا المبدأ أبدا ، وانما الذي اختلف بعضهم عليه هو تحديد القدر الذي يرى منها ، ولعل هذه الأحاديث أوضحت ذلك وحددته بما يدعو الى الرغبة في النكاح أو عدمه •

وان من المتعارف عليه أن الوجه والكفين قدر كاف للحكم على المرأة ، وعلى باقي جسمها ، وهما عنوان الجسم ودليل على ما وراءهما • ويستطيع الانسان بواسطتهما أن يتعرف على شخصية المرأة وعلى ملامحها العامة •

وكثير من العلماء يرى الاكتفاء بالوجه والكفين لادائهما المطلــوب ، وللاحتفاظ بكرامة المرأة ، ومراعاة حيائها وخجلها •

ما هي الرؤية التي ندعو اليها •• ؟

اننا ندعــو الى العمل بالسنــة المطهرة ، وتطبيق الرؤيــة للخاطب ••

ولكن قد يقول أحد الناس •• اننا لن ندع بناتنا عرضة للرجال يرونهن ، ولن نمكن أجنبيا من النظر الى محارمنا •

ونحن نشكرهم على غيرتهم ، ونوافقهم على رأيهم •• ! اننا لا ندعو أبدا الى اتاحة الفرصة لكل من سولت له نفسه أن يرى بنات الناس •• ! وانمـــا ندعو الى الرؤية الشرعية الشـــريفة التي تضمن المصلحة ، وتحفظ للمـــرأة كرامتها ، فكيف ذلك •• ! ؟

---

(1) ورواه احمد والنسائي وابن ماجة والترمذي وابن حيان والدرامي

ان أي انسان يفكر في الزواج سيبحث عن عائلة المرأة ، ووضعهـــا الاجتماعي ، واستعدادها الشخصي • وسيتعرف على الأمور العامة قبل أن يحس أولياء المرأة بذلك •• ثم يبدأ المحادثات الأولية حول رغبته •• فيقوم أولياء المرأة بنفس الدور الذي مر به قبل أن يتصل بهم •• وبعد أن يـروا أنه كفء للزواج بابنتهم ، وان حاله تناسبها ، وان وضع العائلتين متقارب ، وشخصيته تناسب هذه الفتاة •• تبدأ محادثة أخرى أخص من الأولى ، وهي البحث الموضوعي •• فاذا تم الاتفاق على الأمور الرئيسية التي تخص الزوجين ومرت فترة تحقق الفريقان بها امكان التقارب وتحقيق الرغبة • هنا ، وفي هذه الحال فقط ، يمكن ولي المرأة الزوج المنتظر من رؤية مخطوبته ، رؤية احترام ووقار ، رؤية وقاية للمستقبل ، رؤية تقدير لقيمة الزواج وأهميته ، بالنسبة للطرفـين •

وكل انسان يستطيع أن يكيف الرؤية على حسب ظروف المخطوبة ، فاذا كانت من النوع التي تستطيع أن تقابل الزوج وتتحدث معه على مرأى ومسمع من أهلها ، كان ذلك خيرا •

وان لم تكن شخصيتها تمكنها من ذلك ، فان وليها يسنطيع أن يهـيء طريقة يمكن خطيبها من رؤيتها •• ولو على غرة منها ••

فهل في هذا تنقيص من قيمة أحد • ؟ وهل في هذا اهانة لأحد • ؟ وهل في هذا خوف على مستقبل أحد ؟

ان الخوف كل الخوف في أن يدخل رجل على امرأة وهو معصوب العينين لا يعرف ما يقابله ، كمن يدس يده في جحر ، فاما حية تلدغها ، واما حجـر يدميها ، واما أرنب يظفر بها ••

والصدفة وحدها لا يمكن أن تكون أساسا لاختيار شريكة الحياة ، وللحياة التي يرجى من ورائها السعادة •• وتربية الأجيال •

ان مما يحز في النفس ويؤلمها أن الناس يؤمنون بالفكرة ، ويودون العمل بها ، ولكنهم لا يستطيعون ذلك خشية تعليق الناس ، أو اخلاف العادة .. ! أولا يعلمون أن المصلحة العامة فوق كل تقليد ، وأفضل من كل تعليق .. !

ثم أن دعوتنا هذه بالنسبة للعائلات المحافظة التي لاتسمح لبناتها بالسفور والخروج ، والا فان تسعين بالمائة من المسلمين — وبكل أسف — ليسوا بحاجة الى بعض هذا الاقناع ، حيث يستطيع أي انسان أن يرى ابنتهم ، في الشارع ، وفي الطريق .. ومع أهلها في المحلات العامة .

ولكنا نخاطب الذين يتمسكون بالسنة ، ويحبون أن يطبقوها على كل أعمالهم ،ونبين لهم الحق علهم أن يتبعوه ويأخذوا به لما فيه من المصالح الكثيرة .. ولا عذر لهم في تحكم التقاليد والعادات ، فان هذه الأمور يجب أن تخضع للسنة المطهرة ، لا أن تخضع لها السنة .. والسنة واضحة بينة ..

شعيب يري موسى ابنتيه ويخيره فيهما :

كلنا نقرأ في كتاب الله قصة موسى وشعيب التي انتهت بحماية شعيب لموسى ، وتزويجه له من ابنته .. ومن بين آيات القصة هاتان الآيتان :

(قالت احداهما : يا أبتي استأجره ان خير من استأجرت القوي الأمين[1]

قال : اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج) الآيات[2] .

ان هذا صريح في اعجاب الفتاة بموسى وأمانته وقوته .. ثم بعرض الفتاتين ، وحضورهما حيث أشار اليهما بالاشارة الحاضرة ..

واذا كانت هذه القصة قد حدثت قبل فرض الحجاب ، فانها قد وردت في القرآن الكريم اقرارا لها وعظة وعبرة .. وحسبنا علاقة بين نبيين وابنة نبي طاهرة تتزوج نبيا هو كليم الله عز وجل ..

---

(١) القصص (٢٦)
(٢) القصص (٢٧)

اوس بن حارثة يستشير بناته

لقد كان سادات العرب يخبرون بناتهم ويستشيرونهن في أزواجهن وذلك بعد أن يتخيروا لهن الأكفاء ، حسبا ونسبا ومكانة اجتماعية ، ومن ذلك :ـ

أن الحارث بن عوف المري قال يوما لخارجه بن سنان المري : أتـراني أخطب الى أحد فيردني ؟ فقال : نعم ! قال : ومن ذاك ؟ قال : أوس بن حارثة الطائي ، فقال الحارث لغلامه : ارحل بنا . ففعل ، وركبا حتى أتيا أوس بن حارثة في بلاده فوجداه في فناء منزله ، فلما رأى الحارث بن عوف قال : مرحبا بـك يا حارث ، قال : وبـك ، قال : ما جـاء بك ؟ قال : جئتك خاطبـا ، قال : لست هناك !

فانصرف ولم يكلمه ، ودخل أوس على امرأته مغضبا ـوكانت من عبسـ فقالت : من رجل وقف عليك فلم يطل ، ولم تكلمه ؟ قال : ذاك سيد العرب الحارث بن عوف ، قالت : فمالك لم تستنزله ؟ قال : انه استحمق ، قالت : وكيف ؟ قال : جاءني خاطبا . قالت : أفتريد أن تزوج بناتك ؟ قال : نعم . قالت : فاذا لم تزوج سيد العرب فمن ؟ قل : قد كان ذلك . قالت : فتدارك ما كان منك . قال : بماذا ؟ . قالت : تلحقه فترده ، قال : وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه ؟ قالت : تقول له لقيتني مغضبا بأمر لم تقدم فيه قولا ، فلم يكن عندي فيه من الجواب الا ما سمعت ، عد ولك عندي كل ما أحببت ، فانه سيفعل ، فركب في أثرهما .

قال خارجه بن سنان : فوالله أني لأسير مع الحارث اذ حانت مني التفاتـة فرأيت أوسا ، فأقبلت على الحارث ـ وما يكلمني غما ـ فقلت له : هذا أوس بن حارثة في أثرنا ، قال : وما نصنع به ؟ امض . فلما رآنا لا نقف عليه صاح : يا حارث ! اربع على ساعة ، فوقفنا له ، فكلمه بذلك الكلام ، فرجع مسرورا .

ودخل أوس منزله ، وقال لزوجته : ادعي لي فلانة ــ لأكبر بناتــه ــ فأتته فقال : يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب ، قد جاءني طالبا خاطبا ، وقد أردت أن أزوجك منه ، فما تقولين ؟ قالت : لا تفعل ؟ قال : ولم ؟ قالت : لأني امرأة ، في وجهي ردة ، وفي خلقي بعض العهدة ، ولست بابنة عمه فيرعى رحمي ، وليس بجارك في البلد فيستحي منك ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره فيطلقني ، فيكون علي في ذلك ما فيه .

قال : قومي ، بارك الله عليك ، ادعي لي فلانة ــ لابنتــه الوسطى ــ فدعتها ، ثم قال لها مثل قوله لأختها ، فأجابته بمثــل جوابها ، وقالت : اني خرقاء ، وليست بيدي صناعة ، ولا آمن أن يرى مني ما يكره ، فيطلقني ، فيكون علي في ذلك ما تعلم ، وليس بابن عمي فيرعى حقي ، ولا جــارك في بلدك فيستحييك ، قال : قومي بارك الله عليك ، ادعي لي بهيسة ــ صغــرى بنــاته ــ فأتى بهــا ، فقال لها كما قال لهما ، فقالت : أنت وذاك ، فقال لها : قد عرضت ذلك على أختيك فأبتاه ، فقالت ــ ولم يذكر لها مقالتيهما : لكني والله الجميلة وجها ، الصناع يدا ، الرفيعة خلقا ، الحسيبة أبا ، فان طلقني فلا أخلف الله عليه بخير ! فقال : بارك الله عليك .

ثم خرج الى الحارث فقال : زوجتك يا حارث بهيسة بنت أوس ، قال : قبلت ، فأمر أمها أن تهيئها ، وتصلح من شأنها ، ثم أمر ببيت فضرب لــه ، وأنزله اياه ، فلما هيئت بعث بها اليه .

قال خارجه بن سنان : فلما أدخلت اليه ، لبثت هنيهة ثم خرج الــي ، فقلت : أفرغت من شأنك ؟ قال : لا والله ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال : لمــا دخلت اليها قالت : مــه ! أعند أبي واخوتي ؟ هذا والله ما لا يكون . قــال خارجه : ثم أمر بالرحلة ، فارتحلنا ورحلنا بها معنا ، فسرنا ما شاء الله ، ثــم قال لي : تقدم ، فتقدمت ، وعدل بها عن الطريق ، فما لبث أن لحق بي ، فقلت : أفرغت ؟ قال : لا والله ، قلت : ولم ؟ قال : قالت لي : أكما يفعل بالأمــة

الجلبية أو السبية الأخيذة ؟ لا والله ، حتى تنحر الجزر ، وتذبح الغنم ، وتدعو العرب ، وتعمل ما يعمل لمثلي ! قلت : والله أني لأرى همة وعقلا ، وأرجو أن تكون المرأة منجبة ان شاء الله •

قال خارجه : فرحلنا حتى جئنا بلادنا ، فأحضر الابل والغنم ، ثم دخل عليها وخرج الي ، فقلت : أفرغت ؟ قال : لا ، قلت : ولم ؟ ، قال : دخلت عليها وقلت لها : قد أحضرنا من المال ما قد ترين ، فقالت : والله لقد ذكرت لي من الشرف ما لا أراه فيك ، قلت : وكيف ؟ قالت : أتفرغ للنساء والعرب تقتل بعضها بعضا ! قلت : فيكون ماذا ؟ قالت : أخرج الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم ، ثم ارجع الى أهلك فلن يفوتك ما تريد ، فقلت والله أني لأرى همة وعقلا ، ولقد قالت قولا ••

قال خارجه : ثم قال الحارث : أخرج بنا ، فخرجنا حتى أتينا القوم فمشينا فيما بينهم بالصلح ، فاصطلحوا على أن يحتسبوا القتلى ، فيؤخذ الفضل ممن هو عليه ، فحملنا عنهم الديات ، فكانت ثلاثة آلاف بعير في ثلاث سنين ، فانصرفنا بأجمل الذكر ! فمدح بذلك وقال فيه زهير قصيدته :

ـ أمن أم أوفى دمنة لم تكلم •••• ـ (١)

هند بنت عتبة تختار زوجها :

ومن ذلك أن هندا أم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد خطبها سيدان من قومها فجاء والدها يعرض ذلك لها ويسألها رأيها ، فطلبت منه أن يصفهما لها فقال : « أما أحدهما ففي ثروة وسعة من العيش ، ان تابعته تابعك ، وان ملت عنه حط اليك ، تحكمين عليه في أهله وماله • »

« وأما الآخر فموسع عليه ، منظور اليه ، في الحسب حسيب والرأي أريب ، مدره أرومته ، وعز عشيرته ، شديد الغيرة لا ينام على ضعة ولا يرفع عصاه على أهله » • فقالت : يا بت الأول سيد مضياع للحرة ، فما عست أن

(١) المستطرف

تلين بعد ابائها ، وتضيع تحت جناحه ، اذا تابعها بعلها فاشرت وخافها أهلها فأمنت ؟ ساء عند ذلك خالها وقبح عند ذلك دلالها ، فان جاءت بولد أحمقت ، وان أنجبت فمن خطأ ما انجبت ، فاطو ذكر هذا عني ولا تسمعه علي بعد ، وأما الآخر فبعل الفتاة الخريدة الحرة العقيلة ، واني لأخلاق مثل هذا الرجل لموافقة ، فزوجنيه .. وكان أبا سفيان فزوجها اياه .

امراة تهب نفسها للنبي :

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : (جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ! جئت أهب لك نفسي فنظر اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد النظر فيها وصوبه ، ثم طأطأ رأسه ، فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئا جلست ..)

هذا الحديث صريح في أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المرأة وهي واقفة نظرة الفاحص المتأمل الذي عرض عليه الزواج .. وهو أتقى الناس وأطهرهم ، وهو المعلم الأول ، وصاحب الشرع الشريف ، والسنة المطهرة .

ولقد كانت هذه القضية في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم علنا أمام الصحابة ، ولم يشأ الله لهذه المرأة أن تكون من أمهات المؤمنين بل كان في سؤالها وقصتها أحكام كثيرة في الاسلام ، وقد شاء الله لها أن تتزوج أحد الصحابة بعد هذا العرض وفي هذا المجلس .. وسيأتي الحديث عن ذلك في المهور .

الحسين بن علي بن أبي طالب(١) :

على أن أسلافنا كانوا لا يقتصرون على اتاحة الرؤية للخاطب بل يتمادون في الفضل والتيسير ، فهذا الحسين بن علي بن أبي طالب سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم .. كانت له بنتان من أجمل النساء هما : فاطمة وسكينة .

---

(١) مختار الاغاني ، جـ ٥ ، ٦ ، ص ٢٤٩

تقدم اليه ابن أخيه (الحسن بن الحسن) يخطب احداهما فقال له الحسين : يا ابن أخي ، قد كنت أنتظر هذا منك ، انطلق معي ، فخرج حتى أدخله منزله فخيره في بنتيه فاطمة وسكينة ، فاختار فاطمة فزوجه اياها . وكان يقال أن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين في الحسن ، ويقال أنه لما اختار فاطمة قال الحسين : قد اخترتها لك فهي أكثر شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

أين هذا من عملنا اليوم ، لقد حدثني رجل تزوج ابنة عمه التي يسكن هو واياها في بيت واحد وعندما باركت له قلت : ان النتيجة مضمونة ولله الحمد ، فهي ابنة عمك وأنت تعرف ظاهرها وباطنها ، امتعض وقال : مقسما بكل الأيمان أنه لم يرها ولا يعرفها ، ولم يستطع رؤيتها خلسة بعد ما كبرت ..

سبحان الله ، انني لا أكاد أصدق ذلك . فكيف يعيش هؤلاء ؟ هل يعيش كل واحد منهم في قمقم خاص ؟ أم يربطون أعينهم ؟ أم أن الحقيقة مكتومة ؟ لا شك أنه قد يوجد هذا .. !

ولكني على يقين بأن أمثال هؤلاء لا يطلعون ولا يسمعون هدي أسلافنا الأماجد ، وانما يعيشون تقاليد وعادات ورثوها من آبائهم واجدادهم فقط ..

العادة لدينا سابقا :

اننا في هذه الجزيرة التي هي مهد الاسلام ، ومهبط الوحي ، أخذنا الرسالة وورثناها عن صاحبها عليه أفضل الصلاة والتسليم ..

ولقد تميزت طباعنا وعاداتنا غالبا بذلك . وبالأمس القريب ، واليوم ، وفي بعض مناطق المملكة السعودية ، وفي البوادي ، يستطيع الرجل أن يرى من سيخطبها ، ويتحدث اليها ، ويصارحها برغبته ، فتحدثه وتصارحه بما ترى .. ويكون كل منهما على بينة من أمره ..

فما بال هذه العادة قد تمكنت فينا ــ ما دامت ليست من السنة ولا من عادات آبائنا وأجدادنا ــ ..

بل أن الفتاة التي عاشت في المدن وأدركت قسطا من الثقافة ، وتعرفت على جوانب من حياة الآخرين ، وفهمت قيمة الزواج وأهميته بالنسبة لحياتها أولى بأن تكون على بينة من أمرها وألا تؤخذ على غرة ..

ولقد اثلج صدري وسرني نبأ سمعته عن أحد الرجال الذين يعيشون بيننا ـ وكنت لا أعرفه ـ أنه كان اذا خطبت احدى بناته دعا الخاطب الى بيته وفاجأه باتاحة الفرصة له ليرى ابنته بطريقة شريفة خفية . فاذا رآها قال له : والآن ، وبعد أن رأيت من خطبتها وذكرت لك ، هل تصلح لك ، وهل أنت على رغبتك ، فاذا أجاب بالاثبات زوجه .

وشاء الله أن أقابل ذلك الرجل وأسأله بنفسي عن صحة ما ينسب اليه فيؤكد لي ذلك ، ويعدد فوائده ، ويصف راحة ضميره ، ونجاح زواج بناته .

ان هذا رجل يعيش بيننا ، وهو من هذا الوسط الذي تتحدث عنه ، ولكنه يملك قوة الارادة ، وقد اقتنع من سلامة هذا الاجراء فطبقه عمليا ..

هدي الرسول في الزواج

رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد هذه الأمة وهاديها ، كان يحب الزواج ويدعو اليه ، وقد تزوج وزوج بناته ..

وكان يقول : (حبب الي من دنياكم النساء والطيب ، وجعلت قرة عيني في الصلاة ..)

وقد ضرب المثل الأعلى في الرجولة ، والقدرة على ادارة النساء واداء حقوقهن .. ودعا الشباب الى التزوج ..

وكان سمحا سهلا .. لا يتشدد ولا يتشدق في الزواج ، بل يأخذه بما تيسر .. فلم يتزوج بكرا سوى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .. أما باقي زوجاته فقد تزوجهن ثيبات ..

وقد حقق في زواجه الفوائد الكثيرة التي تقصد من الزواج عادة •• من حيث حاجته هو الى هؤلاء النسوة ، وما يترتب على التزوج بهن من علاقات وثيقة باصهاره وقبائل نسائه ، وارشاد أمته الى التزوج وكيفيته وشروطه ، ومعاملة النساء وحقوقهن ، بالاضافة الى ما يعود على المسلمين من حفظ زوجاته للعلم وابلاغه لأمته ••

وكذلك كان شأن صحابته رضوان الله عليهم ، فكانوا يتزوجون ، ويدعون الى الزواج ، وينتقدون من لم يتزوج منهم ، ويسهلون له مهمة الوصول الى زوجة يأوى اليها وتحفظ دينه ••

وقد كانوا في تعاملهم في الزواج مضرب المثل ، ويحضرني بهذه المناسبة حادثة تكفي لتكون نموذجا حيا لما كان عليه خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من خلق نبيل ونفوس مؤمنة كريمة صفت وتعلقت بربها فاهتدت بهديه ، وعملت بتعاليمه ••

عمر بن الخطاب يسعى لزواج ابنته

كان عثمان بن عفان رضي الله عنه قد تزوج بابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم رقية ، وسعد في حياته معها ، ومن أكرم من ابنة رسول الله ؟ وأفضل من الخليفة الثالث ، العالم ، الورع ، ذي الخلق الكريم •• ؟

وشاء الله عز وجل أن تخترم المنية حياة رقية •• فيشتد حزن عثمان عليها •• أسفا على فقدها وما تعوده منها من معاشرة حسنة ، ومعاملة كريمة ، وتخوفا من انفصام العلاقة الوثيقة بالمصاهرة بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ••

وجلس في بيته وسارع اليه الصحابة رضوان الله عليهم يعزونه ويواسونه •• ويأسون جراحه ويسلونه ، ولكن رجلا منهم يضرب المثل

الأعلى في المواساة والتواضع ، اذ يأتي الى عثمان ويسلم عليه ويدعو له ولميته ، ثم يقترب منه يساره أمرا خطيرا . انه يعرض عليه الزواج من ابنته ـ حفصة ـ لكنه يرى رد فعل من عثمان غير متوقع .. فيتأثر لذلك ..

ويخرج مطرقا مفكرا ، أتراه أخطأ التقدير ، أم أن عثمان يرى أن ابنته ليست كفئا للزواج منها . أم أن الطريقة التي سلكها غير سليمة .. وتتنازعه هذه العوامل .. فيرد في نفسه مؤكدا سلامة فعلته ، فيدفعه ذلك الى الرسول صلى الله عليه وسلم ـ ليخبره بخبيئة نفسه ، وحقيقة فعلته ، ليبلغه تأثـره من عثمان ـ .. وفي هذه الفترة يكون عثمان قد داخله شيء من التأثر بسبب عمل أخيه عمر ..

انه حساس في هذه الفترة ، يرى أن أي عمل يعمله في أمر الزواج اهانة لرقية ، وبعدا عن والد رقية ، فيرتدي ثيابه ويتوجه الى بيت النبـوة ليطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما حدث ـ ولكنه يجد عمر قد سبقه ـ فيسلم ويجلس ويتحدث الى رسول الله ..

وتتجلى المعجزة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فيأسو بحديثه العذب الكريم جراح الرجلين ، ويغسل قلبيهما بكلمات مختصره .. اذ يقول : (سيزوج الله عثمان خيرا من ابنتك يا عمر .. ويزوج الله ابنتك خيرا من عثمان .. يعني انه صلى الله عليه وسلم سيتزوج حفصة وسيزوج عثمان ابنته أم كلثوم) وقد كان ذلك ..

الله أكبر . هذا هو عمل الصحابة ، وهذه حقيقة حياتهم وذوبـان شخصياتهم ببعضهم ، وتعاونهم على البر والتقوى ، وسمو أرواحهم ومقاصدهم وهذه عوائدهم في الزواج ، واختيار الأكفاء لبناتهم ، واختيار الصالحـات لبيوتهم ولنطفهم .

التحذير من الامتناع عن التزويج :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي يستمد آراءه من الوحي ، ومن حكمة خالق الخلق ، يحذر أمته تحذيرا بالغا من التوقف في تزويج الرجل لمن تحت يده ، لما يترتب على ذلك من الأضرار الشخصية والخلقية والاجتماعية .

فيقول : (اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه ألا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ..)

نعم ، ان المبادرة الى الزواج والسماحة في الوسيلة لتحقيقه وقاية واصلاح للاخلاق وصيانة للنشىء من الانزلاق في أخطاء يعود وبالها على العائلة بكاملها ، والأسرة كلها ، والمجتمع عامة ..

ولن يكون ذلك فسادا خاصا ، أو فتنة بين اثنين ، ولكنه شر يعم كل البلاد بجميع أفرادها .. وقد قال رجل للحسن بن علي رضي الله عنه ان لي بنية ، فمن ترى أزوجها ؟ فأجابه : زوجها لمن يتقي الله فان أحبها أكرمها وان أبغضها لم يظلمها .. ! وقيل له : فلان خطب الينا فلانة . فسألهم : أهو موسر من عقل ودين ؟ قالوا : نعم ، قال : اذا فزوجوه ..

وشدد القرآن الكريم في هذه الناحية ، وأكد على وجوب المبادرة في ذلك فقال تعالى : (وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم أن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم [1] ..)

ان الله عز وجل يعلم أنه يوجد أناس يردون الخاطب لأنه فقير ، وهم يعلمون أنه كفء ، خلقا ودينا ومعاملة .. فأكد أنه تجب اجابة الكفء دون النظر الى غناه وفقره ، فان الفقير قد يغنيه الله من فضله الواسع ، وان كفاءته وعقله وخلقه تغطي نقص ماله ، والمال عرض زائل ، فقد يفتقر الغني ، ويغنى الفقير في لحظات ولمحات خاطفة . والله هو الغني الكريم الذي لا تفنى خزائنه.

---

(١) النور ٢٢

ثم أنه يدخل في تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن الامتناع عن التزويج ، أولئك الذين يعضلون بناتهم أو مولياتهم فيمتنعون عن تزويجهن بسبب حجج واهية يرونها وحدهم ، ويخالفون فيها غيرهم ، وأشد العضل تلك النعرة الطبقية التي يدعيها بعض الأسر لأنهم أفضل من الآخرين ، وأنهم على درجة معينة يجب ألا ينزلوا عنها وألا يدانيها الا من يرون أنهم في طبقتهم وهم بذلك يجنون على أنفسهم وعلى من يتولون أمره من النساء الضعيفات ، وهم يخالفون أمر الله في ذلك ظلما وعدوانا فيترتب عليه بقاء بناتهم بدون أزواج عمرا طويلا ، منهن من تبقى العمر كله بدون زوج ، ومنهن من يفك أسرها بعد ثلاثين عاما • ومنهن من تأبى هي الزواج بعد أن تذهب زهرة شبابها وتزول نضرة جسمها • وأولئك الناس عندما يمضي الزمن يقعون فريسة للندم والأسى حيث لا ينفع الندم •

تقاليد واشكال الزواج

سوف أورد هنا أشكالا من الزواج في التاريخ وفي الوقت الحاضر ، بعضها حسن وبعضها طريف •

ومن الممتع جدا أن يرهف المرء سمعه لأحد العارفين لعادات الزواج وطرقه ، ليسمع أشياء كأنها من نسج الخيال ، بعضها مضحك وبعضها مبك ، وبعضها جد وأكثرها هزل اكتسب شكل الجد ، يتمسك أصحابها بحذافيرها لا يتركون منها نقيرا ولا قطميرا ، ويرثها الصغار عن الكبار حتى تبلغ حدا لا يمكن معه تجاوزها أو المساس بشيء منها •• من ذلك :ـ

زواج اسلامي ••

سعيد بن المسيب تابعي جليل ، عرف بالعلم والزهد وصلابة الرأي والانقطاع لتعليم العلم ••

كانت لديه ابنة تناقل الناس جمالها ، وبهاءها ، وعلمها ورجاحة عقلها ، فبعث اليه الخليفة عبد الملك بن مروان يخطبها الى ابنه الوليد ولي عهده ، فأبى سعيد ورد رسول عبد الملك، وما زال الخليفة يراجعه ويلح عليه حتى آل به الحال الى ضربه .. وعجب الناس من رفض سعيد لهذه الخطبة .. وصاروا ينتظرون ما يؤول اليه أمر هذه الفتاة ..

وكان لسعيد بن المسيب تلميذ يدعى (أبا وداعة) قال أبو وداعة (كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أياما فلما جئته قال : أين كنت ؟ قلت : توفيت أهلي فاشتغلت بها ، فقال : هلا أخبرتنا فشهدناها . قال : ثم أردت أن أقوم ، فقال : هلا أحدثت امرأة غيرها ؟ فقلت : يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك الا درهمين أو ثلاثة ، فقال : ان أنا فعلت تفعل ؟ ، قلت : نعم . ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة ، قال : فقمت وما أدري ما أصنع من الفرح ، فصرت الى منـــزلي وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين ، وصليت المغرب وكنت صائما ، فقدمت عشاي لأفطر وكان خبزا وزيتا . واذا بالباب يقرع ، فقلت من هذا : قال : سعيد . ففكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن المسيب ، فانه لم ير منذ أربعين سنة الا ما بين بيته والمسجد ، فقمت وخرجت ، واذا بسعيد بن المسيب ، فظننت أنه قد بدا له ــ أي ظهر له رأي غير الرأي الذي رآه من قبل ، أي انه يريد أن يرجع ــ فقلت : يا أبا محمد هلا أرسلت الي فآتيك ؟ قال : لا ، انك أحق أن تؤتى ، قلت : فما تأمرني ؟ قال : رأيتك رجلا عزبــا قد تزوجت فكرهت أن تبيت الليلة وحدك ، وهذه امرأتك .. فاذا هي قائمة خلفه في طوله ، ثم دفعها في الباب ورد الباب فسقطت المرأة من الحيــاء . فاستوثقت من الباب ثم صعدت الى السطح فناديت الجيران فجاؤني وقالوا : ما شأنك ؟ فقلت : زوجني سعيد بن المسيب ابنته وقد جاء بها على غفلة وهــا هي في الدار فنزلوا اليها ، وبلغ أمي فجاءت وقالت : وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام ، فأقمت ثلاثا ثم دخلت بها فاذا هي من أجمل الناس وأحفظهم لكتاب الله ، وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأعرفهم بحق الزوج . قال : فمكثت شهرا لا يأتيني ولا آتيه . ثم أتيته بعد شهر وهو في حلقته ، فسلمت عليه فرد علي ولم يكلمني حتى انفض من في المسجد ، فلما لم يبق غيري . قال : ما حال ذلك الانسان ؟ قلت : هو على ما يحب الصديق ، ويكره العدو . قال: ان رابك شيء فالعصا ، وفي رواية القضاء ، فانصرفت الى منزلي ..[1])

الله أكبر .. وددت لو كان البحث كله بسطا وتعليقا ومناقشة لهذه القصة الغريبة ، التي تستولي على الشعور وتأخذ بالألباب حتى أنه ليخيل للمرء أنه يعيشها ، ويحيا معها .. ثم يسأل نفسه ، هل هذه حقيقة أم خيال .. وأين هؤلاء الرجال .. الذين يملكون من العقل والشخصية ما يجعلهم في مثل هذا التصرف البارع .

ويسأل المرء نفسه مرة أخرى .. ألا يخافون أن يقول الناس عنهم ما يكرهون .. ؟ أولا يحسبون لنسائهم حسابا ، فيؤثر عليهم ، ويثنيهم عن تصرفهم ، وما عزموا عليه من معالي الأمور .. وويل لنا ان نحن حاولنا أن نقارن بين هذا الرجل العظيم وبين حياتنا اليوم ، وما فيها من متناقضات ، حتى وصلت الى أن الرجل يعتقد اعتقادا لا شك فيه ، ويستطيع تنفيذه ، لكنه يتركه خشية الناس .. ! لله هذه الصفات الخالدة التي تستحق أن تكتب بمداد من نور . .

زواج اسلامي ايضا .. :

قال الشعبي[2] : قال شريح[3] بن الحارث : يا شعبي ، عليكم بنساء بني تميم ، فانهن النساء ! قلت : وكيف ذاك ؟ قال : انصرفت من جنازة ذات يوم مظهرا ، فمررت بدور بني تميم ، فاذا امرأة جالسة في سقيفة على وسادة

---

(١) ابن خلكان

(٢) المستطرف

(٣) شريح القاضي المعروف ادرك الجاهلية ، وعينه عمر قاضيا فى الكوفة ولبث مدة طويلة ، وكان أعلم الناس فى القضاء ، صاحب فطنة وذكاء واصابة ، كما كان شاعرا محنكا ، توفى سنة ٨٧ هـ ــ قصص العرب .

وتجاهها جارية رؤدة ، ولها ذؤابة على ظهرها كأحسن من رأيت من الجواري ، فاستسقيت ــ وما بي من عطش ــ فقالت : أي الشراب أعجب اليك ؟ اللبن أم الماء ؟ قلت : أي ذلك تيسر عليكم • قالت : اسقوا الرجل لبنا فاني أخاله غريبا • فلما شربت نظرت الى الجارية فأعجبتني ، فقلت : من هذه ؟ قالت : ابنتي ، فقلت : وممن ؟ قالت : زينب بنت حدير ، احدى نساء بني تميم • قلت : أفارغة أم مشغولة ؟ قالت : بل فارغة ، قلت : أتزوجينيها ؟ قالت : نعم • ان كنت كفئا ولها عم فاقصده •

وانصرفت الى منزلي لأقيل فيه ، فامتنعت مني القائلة ، فأرسلت الى اخواني القراء ، ووافيت معهم صلاة العصر ، فاذا عمها جالس ، فقال أبا أمية : حاجتك قلت : اليك • قال : وما هي ؟ قلت : ذكرت لي بنت أخيك زينب ، فقال : ما بها عنك رغبة ، ثم زوجنيها • وما بلغت منزلي حتى ندمت وقلت : تزوجت الى أغلظ العرب وأجفاها •• ثم هممت بطلاقها ، ولكن قلت أجمعها الي فان رأيت ما أحب والا طلقتها •

ثم مكثت أياما حتى أقبل نساؤها يهادينها ، ولما أدخلت قلت : يا هذه ان من السنة اذا دخلت المرأة على الرجل أن يصلي ركعتين وتصلي ركعتين ، ويسألا الله خير ليلتهما ويتعوذا به من شـرها • فتوضأت فاذا هي تتوضـأ بوضوئي ، وصليت فاذا هي تصلي بصلاتي ، ولما قضينا الصلاة قالت لي : اني امرأة غريبة ، وأنت رجل غريب ، لا علم لي بأخلاقك ، فبين لي ما تحب فآتيه ، وما تكره فأنزجر عنه ، فقلت : قدمت خير مقدم ، قدمت على أهل دار ، زوجك سيد رجالهم ، وأنت سيدة نسائهم ، أحب كذا وأكره كذا ، وما رأيت مـن حسنة فأبثيها ، وما رأيت من سيئة فاستريها •

قالت : أخبرني عن أختانك ، أتحب أن يزوروك ؟ فقلت : اني رجل قاض وما أحب أن تملوني • قالت : فمن تحب من جيرانك يدخل دارك آذن لـه ومن تكرهه ؟ قلت : بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء •

وأقمت عندها ثلاثا ، ثم خرجت الى مجلس القضاء ، فكنت لا أرى يوما الا وهو أفضل من الذي قبله ، حتى اذا كان رأس الحول دخلت منزلي امرأة عجوز تأمر وتنهى • قلت : يا زينب من هذه ؟ قالت : أمي فلانة قلت : حياك الله بالسلام ، قالت : أبا أمية ، كيف أنت وحالك ؟ قلت : بخير ، أحمد الله ، قالت : أبا أمية ، كيف زوجك ؟ قلت : كخير امرأة ، قالت : ان المرأة لا ترى في حال أسوأ خلقا منها في حالتين : اذا حظيت عند زوجها ، واذا ولدت غلاما ، فان رابك منها ريب فالسوط ، فان الرجال ما حازت ـ والله ـ بيوتهم شرا من الورهاء المتدللة •

قلت : أشهد أنها ابنتك ، فقد كفيتني الرياضة ، وأحسنت الأدب ، قالت : أتحب أن يزورك أختانك ؟ قلت : متى شاءوا •

قال شريح : فكانت كل حول تأتينا وتوصي تلك الوصية ثم تنصرف ومكثت مع زينب عشرين عاما ، فما غضبت عليها الا مرة كنت لها فيها ظالما •

زواج من تايلند :

نقلت احدى صحفنا هذا الخبر :

« ان حفل الزواج في جنوب تايلند شرعي جدا يبدأ بتلاوة القرآن الكريم ثم تلقين العروسين الشهادتين •

وهذه العادة يتولاها عادة عالم أو امام ، ولقد تصورت عندما دعيت لكي ألقن العروسين الشهادتين ـ وكانا لم يحضرا بعد الى الحفل ـ ان العروسين قد دهمهما حادث مفاجيء ، ولكن دهشتي ضاعت عندما أخبرني أحدهم أن العادة في حفلات الزفاف هنا تلقين العروسين الشهادتين ثم يقرأ كل منهما بعض الآيات في المصحف •

وبعد ذلك يصطف الرجال في جانب والنساء في جانب آخر ، ويتوجه الجميع الى الله يقرؤون المعوذتين وآية الكرسي والفاتحة ، وبعدها يطلب الجميع من الله أن يرزق العروسين الذرية الصالحة والتوفيق في حياتهما الزوجية » •

هذا الخبر طريف وغريب وممتع ، ويهمنا الآن أن نقارن ، ونحن نعيش في مهبط الوحي ، ومبعث الاسـلام ، بين عاداتنا ، وبين مثـل هذه العـادة البسيطة النافعة ..

ونسأل أنفسنا ، هل نطلب من تايلند أن ترد لنا بضاعتنا التي أخذتها منا بعد أن تركناها عن طيب خاطر وزهدنا بها ، وقلدنا غيرنا فيما يضرنا ، فتمادينا في تعقيد الزواج الى الحد الذي أصبح فيه عبئا ثقيلا لا يطاق ، ولا يقدم عليه الا القليلون ، اننا لا نطلب من المواطنين الكرام أن تكون حفلات الزواج لدينا خالية من كل مظهر ، ولكننا نطلب أن تكون وسطا ، مناسبة لحال العروسين وأن لا يكون فيها مظاهر لا تناسب ديننا ولا عاداتنا وتقاليدنا .

زواج من اوربـا :

كنت في ألمانيا ، وكالعادة يغرم السائح بالتطواف والتجوال على كـل الأماكن التي تتيسر له زيارتها ، والتي يقول عنها أهل البلاد انها أثرية ..

وكان نصيبنا ذات يوم زيارة قلعة في رأس أحد الجبال ، وعندما وصلنا اليها كان المطر يبلل الثياب ، وكان الجو غائما والبرد شديدا ، وقد ألفيناها قصرا مبنيا بالحجارة كأحد قصور المزارع لدينا .

وكان الرواد قليلين ، وعلينا أن تتفيأ ما يظللنا عن المطر ، وأن ندخل من مدخل صغير لنمر في ممر ضيق ، وهناك وقع نظري على فتاة قد كسيت الطرحة البيضاء الخاصة بالزواج ، فأمعنت النظر فوجدتها تسير بجانب شاب يبدو انه خطيبها ، وحاولت أن أعرف هل يوجد أحد من الحاضرين يسير معها ، فلم أر أحدا ، بل رأيتهما منفردين في سيرهما وجلوسهما .. وعندما اجتمعنا معهما في مكان واحد سألتهما . هل أنتما عروسان ؟ فأجابا نعم .. فقلت : ومتى كان زواجكما ؟ فقالا اليوم .. وقد فضلنا أن يكون في هذا المكان المتواضع الأثري ليكون له ذكرى لا تنساها . فقلت : وهل أقمتما حفلا للزواج ومراسيم معتادة ؟ فأجابا ان هذا كل ما عملناه . وأنهما قد أعلنا خطبتهما منذ شهرين .. وتعرف كل منهما على الآخر .. ورتبا بيتا بسيطا .. وسوف يعودان اليـه الآن ..

فقلت : وكم أصدقتها ؟ فقال : لقد تعاونا على تكوين البيت ، كل منا دفع ما لديه وهذا كل صداقنا •• واننا نشعر بسعادة لا يعدلها سعـــادة في الدنيا • ونرى أننا أسعد مخلوقين في الوجود •

بقي أن تعلموا أيها الأخوة أن هذه العروس قد وضعت الطرحة فــوق فستانها المعتاد ، وركبت هي وزوجها في المواصلات العامة بما لا يزيد عـــن نصف ريال ، ودفعا للمتحف مثله •• واشتريا هدايا بما لا يجاوز عشرين ريالا •

ومع ذلك فلم ينقص هذا من سعادتهما ، ولم يمنعهما من الشعور بالفرح والسرور ، ومشاركة الناس في متعهم ، وحياتهم ••

ان الشيء الذي لا يقبله المرء ، أن كثيرا من المسرفين في حفلات الزواج لدينا يدعون أنهم يقلدون المدنيين المتقدمين ، ألا فاسمعوا أن هذين الشابين من أكثر الناس مدنية وذوقا وادراكا لقيمة الحياة ••

زواج من البلاد العربية :

قرأت كثيرا عن عادات الزواج ، وشكل الحفلات في أكثر البلاد العربية وخرجت في أنها في مجموعها تتميز بالبساطة واليسر وتقدير العلاقة الزوجية بحيث تشترك غالبا المرأة مع الزوج في تكوين البيت واعداده حسب حالهما وبيئتهما ، وقد يوجد في البلاد العربية مغالاة في الصداق والحفلات • ولكنه يعد من النوادر بحيث يصبح حديث المجتمعات وتعليق الصحف ومشـــار استغراب المجتمع •• وفي صيف عام ١٣٩٠ كنت في أحد البلاد العربية وتلقيت بطاقة تدعوني لحضور الزواج الساعة السادسة (أي بعد العصر) ولم أحفل بهذه البطاقة شأنها شأن مثيلاتها اللواتي يحملن دعوة الجفلاء ، ولكن وجود بعض الزملاء السعوديين الذين تربطهم بالداعي علاقات الصـــداقة جعلتني أسايرهم وأذهب معهم ••

عند وصولنا مكان الحفل وجدنا رجلين أرشدانا الى الطريق وأشـــارا الى السلم وأن علينا أن نصعد الى السطح •• وصعدنا ، وهناك وجدنـــا الحاضرين يجلسون على كراسي بسيطة •• والسطح كهيئته لم يدخل عليه من

التعديلات ولا التحسينات سوى وضع خيط في عرضه قد علقت فيه مصابيح الكهرباء • جلسنا •• وأديرت القهوة على طريقتهم ، وبعد قليل استدعي أحد الحاضرين ، ولم نلبث سوى دقائق حتى علت الزغاريد وصعد الينا المـــأذون والزوج ومن حضر معهما • وبارك المدعوون للعريس ودعوا له ، وجـــاء أشخاص يحملون سلات الحلواء وأخذوا يوزعونها على الجميع ، ويأخذ كل واحد علبة صغيرة ويودعهم ، ولم تستغرق كل هذه الأمور سوى أقل من ساعة ، وخرجنا ولم نحتج لاضاءة المصابيح •• وكانت الفرحة تبدو على كل الوجوه •• وعلمت أن الزوج قد خرج ومعه زوجته بعد نصف ساعة مـــن خروج المدعوين •• بقي أن نعلم أن مستوى العائلة مستوى ممتاز والزوج جامعي عامل ، والضيوف من طبقة محترمة •• هذه خلاصة زواج من البـــلاد العربية ، ومثله كثير ، والذين يقلدون عندنا اعتادوا أن يأخذوا غالبا مـــن جيرانهم ، فمن أين يا ترى استقدموا هذه العادات ؟ ومن أين استحدثوا هذه التكاليف التي لم ينزل الله بها من سلطان •• ؟

زواج مـــن عـــام ١٣٦٠ :

ان أحلى الذكريات تلك الأمسيات التي تخلو العائلة فيها الى نفسها ، وتجلس في احدى الحجرات الداخلية ، وتنبري الجدة أو الجد أو الوالدة أو الوالد تسرد الأحداث والوقائع التي عاشتها ••

ومن المسلم به أن تلكم الأجيال تتسم أحاديثها وتتميز أقاصيصهـــا بالوضوح والصراحة ، حتى عن النفس •• وقد كان من أحاديثهم أن فلانا ابن فلان وفلانة بنت فلان المعروفين لدينا والعائشين معنا قد تزوجا على ريال واحد •• وعلى ريالين ، أو شملة ، أو نخلة ، أو بقرة •

ثم يتطور المهر الى أن يصبح خمسة ريالات وعشرة وعشرين •• وتتغير نبرات صوت المحدث ابداءا للاستغراب والاستنكار ، يتبعها بتعوذات مـــن ذلك المصير • وتسبيحات لله عز وجل •• ولسنا بصدد سرد هذه الوقائـــع

الجانبية لنقول أنهم يقولون أن فلانا قد تزوج بريال واحد ثلاث نســـاء ، بمعنى أنه يتزوج الأولى على ريال ، ثم يختلف معها فترد له ذلك الريال ، فيدفعه للثانية وهكذا •• ويقولون : ان فلانا العالم والثري أو الشريف قد زوج بناته على صداق رمزي يسميه هو ويدفعه هو •• بعد أن اختار أزواجهن بنفسه ••

ويقولون •• ان رئيس العائلــة الفلانيــة قد فاجــأ العائلــة في بعض اجتماعاتها المناسبة باستدعاء المأذون وعقد قران عدد من بناته بعدد من أبنــاء عمومتهن •• دون أن يعلم أحد المجتمعين بذلك ••

ان هذه نماذج حية وقعت لكثيرين أحياء قد يكونون هم من بيننا أو أبناؤهم معنا ، ولقد كانت حياتهم مع زوجاتهم أسعد وأصفى وأسلم وأكثر انتاجا من حياة الأجيال الحاضرة •• ونحن حين نورد مثل هذه الوقائع لا نطلب من الجيل الحاضر تطبيقها بحذافيرها •• فلكل زمان آية ، ولكنا نضع الأيدي على المثل والمباديء السامية للتأسي بها ، والأخذ بما يمكن الأخذ به مـــن معانيها ، وروحها النابضة ••

ولنبرز البون الشاسع ، والهوة السحيقة بين المجتمعين •• بغية تضييق الشقة ، والالتقاء على نقطة وسط بين الافراط والتفريط ••

نــادرة لطيفــة :

كان من حظ أحد اخواننا أن عين مدرسا في (جازان) والبيئة هنــاك تدعو الى التزوج لقلة المهر ، وتيسر النظر الى المخطوبة ، ورواج الزواج بين القادرين ، وفي مدة قليلة وجد نفسه مدفوعا لقبول الزواج وبدون أدنى تعب فقد عقد له على امرأة ودخل بها من ليلتها ، ويظهر أن حديثه مع زملائه كان في العموميات ولم يبلغ التفاصيل ، فلم يلفت أحدهم نظره الى عاداتهم في غرفة النوم ، أو عند الاجتماع ، وانطلق يتيه بشبابه ، وبهيمنته على المـــرأة •• فامتنعت منه • وحاول أخذها بالقوة فلم يستطع •• وطلبت منه مقابـــل « فك الدكة » وهو لا يعرف هذه الكلمة • وقد لج به العناد فلم يوافقها على ما تطلب •• وانتهى الأمر بامتناعها رغم محاولته القوية ، واستعراض عضلاته ثم تمادى الى الفراق ••

وانطلق غاضبا ، لكنه فوجيء بسمعة تمـلأ البلد تقول بأنه عجز عن المرأة ، وتتهمه بأنه غير رجل •• !

فزاد هماً وغماً ، وسارع الى التزوج من أخرى ليثبت رجولته •• ولم يكلفه ذلك سوى ثلاثة أيام حتى دخل بأخرى •• ولكنه قد تعلم ما ينبغي عمله وقوله وتقديمه •• وفكت له الدكة بدون قتال •• وأثبت رجولته بسلام •• ولم تكن الأخيرة بأسعد حظا من الأولى ، فما لبثت أن طلقت •• وهذا مصير كل زواج يكون مصدره المزح أو حب التجربة ، أو التقليد ، أو الاندفاع بسبب اغراء الآخرين ••

ولقد لبثنا مدة غير قصيرة نطيب مجالسنا باجترار ذكرى حادثة أخينا الذي كان يمتن علينا باعادة أخبار مغامراته •• وما لاقى من العجائب والأمور المحرجة •• وفي النهاية يعترف بأن الرجل رغم قوته قد تغلبه المرأة •• فنعلق نحن بأن ذلك مستمسك للمرأة ، فهي تغلب الرجال بحيلتها ، وهذا اعتراف منهم بأنها قد تغلبهم بقوتها ••• !

يعاقب بذبح ثوره :

يوجد قبائل تعتمد في حياتها على الزراعة ، وهي عربية أصيلة ، وأشكال الزواج لديهم يسيرة ولطيفة •• يمكن للخاطب أن يرى مخطوبته ، ويكلمها ويصارحها بالزواج ، فاذا حصل مبدأ توافق اتصل الزوج بوليها ، وتم الزواج على مهر يسير كانت القبيلة قد اتفقت على تحديده •• وصار ملزما لكل أحد •• وهو لا يعدو حدو مائتي ريال •• وللمحافظة على تنفيذه ، وجدت بينهم عقوبات عرفية متبعة لمن يخالف ما اتفقوا عليه ، فاذا خالف المرة الأولى بزيادة أو احداث جديد جوزي بتوجيه جزء كبير من ضيوف البلد اليه وحده ••

واذا تمادى وخالف المرة الثانية •• اجتمع رئيس القبيلة وأعيانها وانتهزوا فرصة قدوم ضيوف فذبحوا ثوره الذي يعتمد عليه في الحراثة ، وقدموا جزءا منه للضيوف ووزعوا الباقي على القبيلة •

ورغم ما في هذه العقوبة من قسوة الا أنها رادعة ، فلم تحدث سوى مرات محدودة ، حتى انصاع الجميع للاتفاق وصار عادة ثابتة لا يحتاج تطبيقها الى اقناع ولا تجديد ..

وشكل الزواج لدى هؤلاء تبدو مظاهره في الرمي وبعض رقصات بلدية تتبع بنشيد يناسبها .. ثم تزف المرأة الى الزوج ، ويجب ألا يقاربها وهي عند أهلها ، فان ذلك عيب كبير توصم به المرأة ..

ـ وقد مر مثل هذا في قصة زواج الحارث بن عوف على بهيسة بنت أوس بن حارثة .. ـ

طهر وبساطة .. :

ينتشر البدو في أنحاء الجزيرة العربية ، ينتجعون الكلأ ، ويتخيرون أفضله ، ويألفون أنسبه ، وهم من قبائل عربية أصيلة ، وتبدو فيهم عادات العرب النبيلة من الوفاء والكرم والصدق والمحافظة على المكارم والابقاء على النسب ، وفيهم الطهر ــ في الغالب ــ اذ يعيش الرجل أو الرجال مع النساء في الصحاري سنين لا يمكن أن يتطرق الشك الى أحد منهم ، ولن يخامر فكره ذلك أبدا .. وللنساء لديهم شخصيات قوية بحيث تجالس الرجال ، وتسافر معهم ، وتعمل مثل ما يعملون ، دون أن تتردد أو تكسل أو تحتقر نفسها .. وقد يوجد بينهم من يصاب بالحب العذري الذي انقطع من الدنيا في هذا الزمن .. وذلك بسبب صفاء قلوبهم وبعدهم عما يدنسها من الأفعال والأقوال ..

وعادات الزواج لديهم متقاربة في كل أشكالها ، فهي تنحصر في سجادة وجمل وما يشبه ذلك ، ثم بذبح خروف أو نحر ناقة تقدم قبل موعد الدخول بساعات .. وليس فيها شروط ولا تعقيد .. وليس لها مظاهر أبدا .. سوى تغيير في وضع البيت واعفاء العروسين من العمل فترة قصيرة .. وتوجد عادة لبعضهم يفترض فيها أن تصيح المرأة اذا دخلت على الزوج بصوت يسمعه كل من حولها وذلك كناية عن عدم تهالكها ورغبتها في الزوج ، بمعنى انها اذا

سكتتت فانما هي راغبة فيما يتم بين الزوجين من الأمور الجنسية رغبة أكيدة •• وهذا عيب في عرفهم على النساء •• وقد بلغ من تمكن هذه العادة فيهن أن ذكر أن بعض النساء اللاتي ليست أصواتهن جميلة يصحبهن في المكان الذي تزف به المرأة ابنة عم لهن أو قريبة منهن تتحلى بالصوت الجميل تنوب عن صاحبتها في ارسال صيحات منمقة متتابعة •• تعلن للسامعين •• ألا فاشهدوا أنها غير راغبة في الشيء الذي تستحي منه النساء •• ورغم سوء هذه العادة الا انها نابعة من تقاليدهمالتي يتميز فيها حياء المرأة العظيم ، وحرصها على بقاء سمعتها عطرة نظيفة حتى في الأمور المشروعة ••

وهذه القبائل التي تتميز بهذه الصفات الحميدة قد توجد في بعضها عادات سيئة مثل التحبيس •• والتحبيس عادة عربية قديمة حيث يعلن رجل أنه حبس ابنة عمه فلانة •• فلا يقربها أحد سواه مهما طال الزمن •• ويأتي هذا التحبيس دون رغبة المحبسة أو أهلها •• وعند ذلك يتحاشى الآخرون قربانها أو خطبتها من أهلها •• لأنه اذا علم المحبس بذلك استشاط غيظا •• وقد يقدم على التعدي على من حاول اهانته — على رأيه — بالاقتراب من محبسته ، وأسوأ ما فيها أن تكون الفتاة المحبسة غير راغبة فيمن حبسها فلا هو يرعوي ولا هي تقبل التزوج منه •• وعندها تبقى سنين طويلة ، وقد يذهب عمرها دون زواج •• وقد قلت هذه العادة فلا توجد الا نادرا •• وهي من أقبح العادات وأكثرها سوءا ومن أبعد الأفعال عن عادات العرب الطيبة الكريمة ، ونحمد الله أن عوضنا بالاسلام وأحكامه ، وشرائعه المطهرة عن هذه العادة التي ان دلت على شيء فانما تدل على قصر فهم وادراك صاحبها •• فليس هناك ما يدعو الى ارتكاب مثل هذا العمل ، فالنساء كثيرات ، والبيوت بهن مملوءة ، وقد تكون الحبيسة أقل من غيرها جمالا وبهاءا ، ولكن الشيطان يسعى للشر بأي طريقة ، فاذا يئس من الوصول اليه باسم الشر قدمه للناس باسم الشرف والقوة ، والمحافظة على الجاه والمكانة ، والا فان أية فتاة جميلة يوجد أجمل منها ، وكل فتاة وسيمة يوجد من هن أكثر منها وسامة

ودلالا •• والزواج يقوم على التفاهم ، والتحاب واليسر ، لا على العنف والقسوة ••

أما دور ولي المرأة في ذلك فانه محرج غاية الحرج ، اذ لو زوج ابنته المحبسة لحصل من ذلك فساد كبير ، فقد يقوم المحبس بالمرور على أماكن تجمع الناس في المواسم وينادي بها : سود الله وجه فلان •• ! الذي باع ابنته •• ! ويسمي ولي المرأة •• وهذا عار عندهم ، ولكنه أصبح نادرا اليوم •• !

زواج اليوم :

زواج اليوم تختلف أشكاله في أمور جانبية فقط •• ويتميز بالمظاهر ، وكثرة النفقة ، اذ يقدم الزوج الى أولياء زوجته ألوفا من الريالات ، وأشياءاً كثيرة من المنقولات والمحمولات ، وأنواعا من الملبوسات ، ثم يتم الزواج وسط حفلات تضاء فيها أنوار كثيرة ملفتة للنظر ، وتذبح ذبائح كثيرة لا حاجة لها يدعى لها كثيرون فلا يحضر الا قليل منهم ، ويبقى الطعام لا يوجد من يأكله •• ثم يزف الرجل الى المرأة حيث يرشده وليها أو أولياؤها الى غرفتها ، وعادة يكون معها امرأة متقدمة في السن تحييه وتسأل الله له البركة ثم تودعه وتخرج حال دخوله ••

ومن أسوأ العادات في زواج اليوم ، تأخير دخول الزوج الى آخر الليل والزام المدعوين بالسهر كذلك • اذ كيف يتصور حال عروسين سهرا الليل ثم التقيا •• ؟ النتيجة الحتمية أنهما سيعيشان هذه الساعات على أعصابهما وقد يتطور الأمر بهما الى حد الارهاق الجسمي ، والقلق الفكري ، بعد أن أخذت مراسيم الزواج ومقدماته منهما كل طاقاتهما ، وهذا خلاف ما ينبغي أن يكون عليه بدء التقائهما •• !

ومن أسوأ العادات أيضا •• بقاء الزوج يتردد على بيت أهل زوجته سبعة أيام •• وفي ذلك احراج للزوج ، ومشقة على أهل الزوجة ، وليس لهذه العادة أصل ، ولا وجهة معقولة •• اذا الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القسم للبكر سبع ليال بالنسبة لمن لديه أكثر من زوجة فيبيت عند البكر سبع ليال ثم يقسم بين زوجاته بالسوية •

وعلى رغم تحكم العادات والتقاليد في زواج اليوم ، فانه قد وجد من يمقت هذا الروتين ويحاول التخلص منه ، فمنهم من سلك الأمر الوسط فخفف من المظاهر والولائم ، ومنهم من تمادى في ذلك حتى سمعنا أن فلانا عقد لابنته ثم سلمها لزوجها عند باب بيته ليذهب هو واياها .. وهذا وقوع بين طرفي النقيض ، وكلا المسلكين غير صحيح .. ويجب سلوك الأمر الوسط في كل شيء .. فيعلن الزواج بدون سرفه ، وتبدو فيه مظاهر الالفة والمحبة والعلاقة الجديدة بين الأسرتين دون كلفة أو مشقة أو نفقة طائلة وهذا الذي يمكن أن يتحقق وأن يرضاه الجميع ..

ومن أسوأ العادات في زواج اليوم ما استحدث من السفر خارج البلاد .. اذ تعد العدة وتحجز أماكن السفر ويقابل الرجل زوجته ساعة أو ساعات ثم يبدآن سفرهما .. وهذه بدعة سيئة لها خطورة كبيرة .. فانه بغض النظر عما يستتبع ذلك من كثرة النفقة .. سوف يعيشان عيشة مؤقتة بعيدة عن بيئتهما وواقعهما في حياتهما الدائمة وكل أمر من أمور الحياة يبنى على أساسه وأوله . وهما في هذه الحياة التي يقضيانها خارج بلادهما لن يكونا على حقيقتهما ، ولن يقابلا نفس الظروف التي في بلادهما وفي بيتهما الخاص ، وسيحرص كل منهما على التظاهر بالمحبة والمجاملة والذوق الرفيع ، والخفة ومبادلة الشعور ، ثم لا يلبث أن يبدو على حقيقته عند الرجوع للحياة الدائمة .. ولا نشك في أن هذه عادة غريبة على مجتمعنا ، والحزم كل الحزم مجابهة الحياة الحقيقية من أول يوم ، حتى يعتادها الزوجان ويوطنا نفسيهما عليها .. وهذه علاقة لا يصلح فيها التظاهر ، والتمادي في الخيال ..

ومن التقاليد السيئة في زواج اليوم ، حرص أولياء الزوجة على أن يكون الزوج لا أم له ، ولا أهل له .. وهذه نظرية ضيقة ، وفكر مقفول .. وتقليد نشأ عن نفس لئيمة بخيلة لا تريد أحدا يشارك في الحياة ، أو يوجد في البيت . والا فما معنى أن يتمنى زوجا لا علاقة له بأحد ، ولا قريب له ؟ ان مثل ذلك الزوج سيكون اما غير ذي نسب أو مقطوعا غريبا ، وستكون الزوجة معه غريبة طريدة تبحث عمن يؤنسها اذا غاب زوجها ..

أما خرافة الحموات وما يقال عنهن ، فان ذلك من اختراع المضحكين الذين يسلون الناس فيما يقولون وما يخترعون من النكات والنوادر •• والأم مخلوقة مثل النساء الأخريات تستطيع الزوجة أن ترضيها حتى تجعلها كأمها •• وهي تحب ابنها ومن يحب ابنها •• وليس وجود حماة واحدة لا يرضي خلقها حكما على كل الأمهات ••

زواج من هنا عام ١٣٩٣ :

لعلي حينما أحدثكم عن نموذج من الزواج هنا لا آتي بجديد ، فالجميع يعرفون ذلك ، وقد لمسوه وأدركوا حقيقته ••

ولكنني سأورد هنا حالين من أحوال المواطنين ، وأستعرض تكاليف حفل زواج حدث ويحدث كل وقت ••

الأول جدول يمثل تكاليف الزواج لشخص حاله متوسطة •• وتتألف من الآتي ••

ريال	البيان
١٠٫٠٠٠	نقدا يدفعها مناولة قبل الزواج
٥٠٠٠	قيمة كساوي وهدايا لأولياء الزوجة
٥٠٠٠	قيمة حلي قبل الزواج وبعده
١٠٠٠	هدايا شخصية للزوجة
٢٠٠٠	استعداد للزواج من تنظيم البيت ولوازم مناسبة
١٠٠٠	تكاليف الحفلة ليلة الزواج (الدخلة)
٢٠٠٠	تكاليف حفلة الغداء في بيت الزوجة
٢٠٠٠	تكاليف حفلة الغداء في بيت الزوج
١٠٠٠	أجور خدم وما شابهه
٣٠٫٠٠٠	هذه ثلاثون ألف ريال ••

الجدول الثاني يمثل تكاليف الزواج لشخص أقل من متوسط :

ريـال	البيـــان
٥٠٠٠	نقدا يدفعه مقدما
٤٠٠٠	قيمة ملابس للزوجة وأوليائها
٣٠٠٠	هدايا خاصة للزوجة وحلي لها
١٠٠٠	حفلة ليلة الزواج
٢٠٠٠	اصلاح البيت وتهيئته لاستقبال الزوجة
٢٠٠٠	تكاليف وليمة الغداء في بيت الزوجة
٢٠٠٠	تكاليف وليمة الغداء في بيت الزوج
١٠٠٠	مصروفات أخرى
٢٠,٠٠٠	عشرون ألف ريال ..

ان الجدول الأول جدول واقعي ينطبق على أكثر الموظفين ومن في طبقتهم من التجار العاديين .

والجدول الثاني ينطبق على صغار الموظفين ، وموظفي خارج الهيئة والعمال .. وقد استبعدت الحالات التي يحصل فيها مصروفات أكثر من هذا بكثير ، ويتبارى أصحابها في الظهور بالمظهر البديع البراق . وبالاتيان بالغريب من الأمور ، وبما يعرف ولا يعرف مما يوجد في حفلات الزواج وقبلها وبعدها .

وهذه نماذج تحدث في كل وقت وحين .. ويعانيها كل مقبل على الزواج .. بل هي شبح يقف أمامه حائلا دون تحقيق رغبته في الزواج ..

ولقد تزوج أحد الخدم ، في احدى القرى ، وكلفه الزواج ما في الجدول الثاني . وحينما أخذتني الدهشة وأنكرت عليه حديثه ، قدم الي كشفا كتب فيه كل قرش ، وكل ريال ببيان واضح لا لبس فيه .. قلت : قد رأيت هذا ، فكيف استطعت الحصول على هذا المبلغ من المال .. ؟ قال : ان مني خمسة

آلاف وخمسة آلاف جمعها لي أقـارببي اعانة ومساعدة لـي في زواجي ••
وخمسة آلاف ريال اقترضتها من الأصدقاء وخمسة آلاف ريال استدنتهـا
بفائدة كبيرة ••

فكروا معي قليلا أيها الأخوة ، كيف تعتقدون وتتصورون حال هـذا المسكين ، ان الهم والغم قد أقضا مضجعه ، وحرماه لذة الاستمتاع بالحيـاة الزوجية التي تخيلها طيلة حياته الماضية ، وبذل كل جهده حتى شارف على النهاية ، لكن القلق يساوره ، والتفكير يقلقه ، هل يتفرغ لبناء البيت الحديث الذي يحتاج لكل شيء •• وخاصة بعد أن زادت تكاليفه وجاءه جديد يستحق الاكرام والتقدير •• أم يفكر في دينه وقدرته على سداده •• أم في مقاضـاة من أهداه وأعانه ••

لا شك أن ذلك سينقص من سعادته ، وينغص حياته ، بل قد يحـرمه الشعور بالسعادة ويمنعه من الأمل الذي كان يعيشه ويحلم به ، عشا ناعمـا سعيدا لا شوك فيه ولا تعب ولا نصب • لقد اجتاز الشوك والأوحال ، وتنكب الوعورة والحزن بحثا عن الاستقرار والهنـاء ••

ولكن هذه التكاليف الباهظة التي استحدثها الناس ولم ينزل الله بها من سلطان تقلب السعادة الى شقاء ، والاستقرار الى قلق وتعب ، وهي ليست أصلا في الزواج ، ولا جزءا منه ، بل أن أكثرها يذهب بدون فائدة لأحد •• فقد تغيرت الأمور وكثرت مشاغل الناس وأصبح الرجل يدعوهم ليأكلـوا فلا يستجيبون الا متكرهين متأففين ، ومن حضر منهم فهو للمجاملة ، يمتن بمجيئه على هذا المسكين الذي بذل ماله وجهده ، من أجل مجاراة النـاس والظهور بالمظهر اللائق في العرف الحاضر ••

ان علينا أن ندرك حقيقة ما نأتي من الأمور ونعرف نتائجها ونترك السيء ونتمسك بالأفضل ، حتى تكون أعمالنا منتجة نافعة •• وهذا في مقدورنا اذا صدقت العزيمة •• وصلحت النية ••

المهـــــور

المهر هو الصداق ، وهو ما يعطى للمرأة من الرجل كتعبير عن صـــدق رغبته فيها ، وعزمه على التزوج منها ..

وقد شرع عوضا عن استحلال الرجل لمنفعة المرأة ، ووسيلة للاتصـــال المشروع المنظم بين الرجل والمرأة .

وحيث أن الرجال هم القوامون على النساء ، وهم الذين يكسبـــون المال ، وهم المسئولون عن الحياة الزوجية ، جعل المهر حقا عليهم للنســـاء ، لا يستبيحون فروجهن الا بكلة الله ، وباداء هذا الحق .. وهو حق للزوجة وحدها ، مقدمه ومؤخره ، وقليله وكثيره ، وليس للأولياء ، قربوا أو بعدوا ، ولا للزوج أي حق فيه ، وهي حرة تتصرف به كيف شاءت ..

وهذا خلاف ما يعمله الناس اليوم من السطو على مهر المرأة وصرفـه في المظاهر والتفاخر ، والولائم ، فتصبح المرأة المتزوجة وليس معها من مهرها الا حديث الناس عما عمل وعما أهرق .. وكأن الأمر لا يعنيها ، ولا يخصها ، بل أن كثيرا من الفتيات لا يعلمن بمقدار مهورهن ولا كيف صرف ، ولا فيما أنفــق ..

والتاريخ يحدثنا أن هذا المهر الذي جعل وسيلة لهدف سام شريف كان في كل أطواره يتسم بالبساطة واليسر ويكون من نوع الموجود في كل زمـــن وبيئـــة .

فالأعرابي يمهر زوجته جملا أو بعض شويهات ، والفلاح يمهرها نخـــلا أو أرضا ، والتاجر يمهرها بعض النقود أو بعض الأطعمة والملابس ، والصانع يمهرها شيئا من انتاجه ، والعالم والمتعلم يمهرها من علمه اذا لم يجد غيره .

وهكذا ، لم يحتم الله علينا أمرا معينا ، ولم يعقد الحياة على خلقه ، ولكنهم هم أنفسهم يسعون لتعقيد حياتهم وربطها بتقاليد تبعد كثيرا عـــــن أهداف الزواج ومراميه السامية .

وبالجملة ، فان التاريخ يسرد لنا وقائع وأمثلة لم تصل الى الحد الذي وصل اليه المهر في زمننا هذا ، الا في القليل النادر .. ولنعرض أمثلة من المهور :

مهر زوجات وبنات النبي صلى الله عليه وسلم :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (كان صداق النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا فذلك خمسمائة درهم) .

وقال عمر رضي الله عنه : (ما علمت رسول الله صلى الله عليه وسلم نكح شيئا من نسائه ولا أنكح شيئا من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لما تزوج علي فاطمة رضي الله عنها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطها شيئا ، قال : ما عندي شيء قال : فأين درعك الحطمية ؟)

وعن سهل بن سعد الساعدي : (أن امرأة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا رسول الله ! اني وهبت نفسي لك ، فقامت طويلا ، فقال رجل : يا رسول الله زوجنيها ان لم تكن لك بها حاجة ، فقال : هل عندك شيء تصدقها اياه ؟ فقال : ما عندي الا ازاري هذا ، فقال صلى الله عليه وسلم : انك ان أعطيتها ازارك جلست لا ازار لك فالتمس شيئا ، فقال : ما أجد شيئا ، قال : فالتمس ولو خاتما من حديد ، فلم يجد شيئا ، فقال صلى الله عليه وسلم : هل معك شيء من القرآن ؟ قال : نعم ، سورة كذا ، وسورة كذا لسور سماها فقال : قد زوجتكها بما معك من القرآن ..)

وقال أبو حدرد[1] : (تزوجت امرأة من قومي فأصدقتها مائتي درهم قال : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينه على نكاحي فقال : كم أصدقت ؟ قلت : مائتي درهم ، فقال : سبحان الله ! والله لو كنتم تأخذونها من واد ما زدتم ! والله ما عندي ما أعينك به ، فلبثت أياما .. وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قوما في (الغابة) من جشم يعدون العدة لغزو

(١) البداية والنهاية ، جـ ٤

المسلمين ، فجهزني رسول الله اليهم فتوجهت الى الغابة وغنمنا خيرا كثيرا ، ولما عدت أعطاني رسول الله ثلاثة عشر بعيرا ، قال : فعدت الى أهلي فجمعتهم الي ..) .

هذا هدى مثلنا الأعلى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، وهدى صحابته .. ورسول الله هو سيدنا ، وعمله أفضل الأعمال ، وهو بشر مثلنا ، تزوج وزوج بناته ، وقد كان المهر كما ترون ، من مائتي درهم الى خمسمائة درهم ..

وكل مائتي درهم تساوي ستة وخمسين ريالا ، ومعنى ذلك أن المهر يتراوح بين ستة وخمسين ريالا ، ومائة وأربعين ريالا ..

وكان ينكر على من يزيد على هذا القدر ، وقد زوج امرأة من أحد الصحابة على خاتم من حديد ، وعلى آيات من القرآن ..

فليت شعري ، هل نساء اليوم أفضل أو أجمل أو أطيب من عائشة وفاطمة ؟ وهل قدرنا أكبر من قدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ حاشا وألف كلا .. !

اننا لم نبلغ عشر معشارهم خلقا ، وخلقا ، ومعاملة ، ولطفا وفضلا ..

واستعرضوا معي التاريخ ، واستعرضوا عادة البلاد المجاورة الآن ، واسألوهم عن متوسط المهور في بلادهم ؟ ان كثيرين منكم يعلمون بساطة المهور لديهم ، وأنها لا تعدو أن تكون رمزية مناسبة لحال الزوجين .. بل انها قد تبلغ كثيرا مرحلة تعاون الزوجين على المهر ، ومساهمتهما في تكاليف الزواج ..

وارجعوا معي الى عادتنا نحن قبل بضع سنوات ، تجدوها بسيطة ويسيرة ولا يستطيع أحد منا أن يقول أنه أفضل من أبيه وأمه ، وجده وجدته ، اذاً ما الذي حدث لنا ؟ وكيف بلغ بنا الحال حداً أصبح معه الزواج أمراً مستحيلا لدى الكثيرين ، ومركبا صعباً على الباقين ، واذا كان الأغنياء لا يحسون بهذه المشكلة ، فما بال المسكين الذي لا يجد من المال ما يجاريهم ، أو يدانيهم به وقد ألزمته التقاليد سلوك مسلكهم .. !

التغالي في المهـــور

ان بدعة التغالي في المهور لم تحدث الا أخيرا ، حينما كثر اليسار لدى الناس ، واستقروا ، وامتلأت جيوبهم ، وجاءت المدنية الحديثة بأمور جديدة ، لم تكن معروفة من قبل .

ولعل التغالي في المهور يكاد يكون المشكلة الأولى والعقبة الكأداء في طريق الزواج ..

فانها المشكلة المادية التي يرتطم بها كل من تحدثه نفسه بالاقدام على الزواج ..

أسبـــاب التغـــالي :

للتغالي في المهور أسباب كثيرة .. وأرى أن أبرزها الأمور التالية : —

١ — رغبة الزوج في الظهور بمظهر الغني القادر ، وحرصه على اقناع أولياء الزوجة . وذلك بسبب حصول حالات كثيرة يخطب الرجل فيهـــا ويوافق أهل الزوجة والطرفان لا يعرف بعضهم بعضا ، ولا يوجد من الوقت ما يكفي لسؤال بعضهم عن بعض والتعرف على صفة الزوج ، وسلوكه ، واستعداده الشخصي .

٢ — طمع بعض الأولياء ، وعدم ادراكهم لقيمة الزواج وأهدافه الرئيسية ، بالاضافة الى ما سيتحملونه من كثرة المصروفات والالتزامات التـــي يرون أنها ضرورية لذلك حتى لا ينسبوا للتقصير .

٣ — تغير النظرة الى الزوج الكفء .. واختلاف الناس في فهم ذلك ، بحيث تصبح عملية الزواج عملية بيع وشراء ، الرابح فيها من يكسب المـــال الكثير ولا يهمه بعد ذلك لون النتائج وآثارها .

٤ — وهو الأهم ، التقليد الذي استولى على مشاعر الناس جميعا وسلبهم التفكير ، وعطل عقولهم . فما عمله فلان لا بد أن يعملوه ولا يقصروا عنه ، بل يجب أن يزيدوا عليه .. وهـــكذا يتزايد الأمـــر حتى يبلغ هـــذا الحـــد .

٥ ـ اسناد الحكم في هذه الأمور الى النساء ، وسماع آرائهن وتنفيذ طلباتهن ، وهن من نعلم عاطفة ورغبة في الفخر والظهور حتى لا تقول فلانة كذا ، ولا تتحدث علانة بكذا ..

٦ ـ سكوت القادة والمعنيين بأمور الناس ، الى أن استفحل الأمر وبلغ ما هو عليه الآن .

نتائج التغالي فى المهور :

ان كلا منا يعلم علم اليقين ما يترتب على التمادي في المغالاة في المهور ، واستمرار زيادة النفقات ، وتجدد الطلبات ، وترك الحبل على الغارب للعابثين ومن لا يهمهم أمر المسلمين ..

ولعل أهم النتائج لهذه الظاهرة ، هو ما يلي :ـ

١ ـ بقاء الرجال أيامى ، وبقاء البنات عوانس ، وهذا معناه تعطيل الزواج ، وايقاف سنة الله في الحياة ..

٢ ـ حصول الفساد الأخلاقي في الجنسين عندما ييأسون من الزواج اذ يبحثون عن بديل لذلك ..

٣ ـ كثرة المشكلات الاجتماعية بسبب عدم جريان الأمور بطبيعتها ، ووضع الشيء في غير موضعه ..

٤ ـ حدوث الأمراض النفسية في صدور الشباب من الجنسين بسبب الكبت وارتطام أفكارهم بخيبة الأمل ..

٥ ـ خروج الأولاد عن طاعة آبائهم وأمهاتهم ، وتمردهم على العادات والتقاليد الكريمة الموروثة ..

٦ ـ عزوف الشباب عن الزواج بالمواطنات ورغبتهم في الزواج بالأجنبيات .. وهذا أمر من الخطورة بمكان ، اذ يترتب عليه مشكلات لا حصر لها . فيشقى الرجل بحياته الزوجية التي ارتبط بها بامرأة تخالفه في الفكرة ، والبيئة والعادات والرغبات ..

وتشقى الفتيات المواطنات ببقائهن عوانس دون ذنب جنته أيديهن ..
وانما جنته التقاليد ، وتصرفات خاصة من عدد قليل من الناس .. وقد
أثبتت التجارب أن ٩٩٪ من حالات التزوج من الخارج غير ناجحة ..

وبعد هذا ، فان التغالي في المهور ليس من صالح أحد مطلقا ، ولقد
ضاق الناس به ذرعا وبرموا من هذه العادة السيئة ، سواء منهم أولياء الذكور
أو أولياء الأناث . بل ان البنات أنفسهن يكرهن التغالي في المهور لما يعلمنه
من وقوفه حجر عثرة دون زواجهن ، وتحقق أملهن ، وهن اللاتي يصطلين
بنار الوحدة والحرمان ، ولكنهن لا يفصحن عما في أنفسهن بل يمنعهن الحياء .
فرحمة بهن أيها الناس ..

* * *

رأي عمر في المهور

كلنا يعرف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، البطل المجاهد ، الحريص
على مصالح المسلمين ، الشجاع في الحق ، الذي لا تأخذه في الله لومة لائم ..
شق عليه أن يرى التغالي في المهور يبدو على شكل يخاف منه ، فأحب أن
يوقف هذا الحدث وهو في أول الطريق ، فقام رضي الله عنه وركب منبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

(أيها الناس ! ما اكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وأصحابه والصداقات فيما بينهم أربعمائة درهم فما دون ذلك .
ولو كان الاكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم اليها ، فلا
أعرفن ما زاد الرجل في صداق امرأة على أربعمائة درهم) .

قال ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش فقالت : يا أمير المؤمنين نهيت
الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ! قال : نعم ، قالت : أما

سمعت الله يقول (وآتيتم احداهن قنطارا) فقال : أللهم غفرا كل الناس أفقه من عمر •• ثم رجع فركب المنبر وقال • (أيها الناس اني نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب فليفعل • أو من طابت نفسه فليفعل) [1]

ومن هذه القصة نستنتج أمورا في الموضوع :ـ

١ ـ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان معتقدا اعتقادا جازما بما رآه من عدم زيادة المهور عن عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدليل اعلانه لرأيه على مشهد من كبار الصحابة ولم يعترض عليه أحد منهم •
وهو أحد الخلفاء الذين قل عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجد ••)

٢ ـ أما اذعانه للمرأة (على فرض صحة ذلك) فالسبب في هذا أن عمر ـ كما هو معروف ـ كان وقافا عند كتاب الله تعالى ، اذا تليت عليه الآية اهتز بدنه وأصاخ لما يسمع •• خشية أن يفهم أحد أنه يعترض ما جاء عن الله ••

٣ ـ أنه عندما عاد وصعد المنبر لم يتحول عن رأيه ولم ينقضه بل أبان معنى الآية في نظره ، وهي أن ذوو القدرة واليسار اذا أحبوا أن يتبرعوا بشيء من أموالهم عن طيب خاطر فذلك جائز ••

٤ ـ أن كثيرا من أئمة الحديث أوردوا هذه العبارة بدل اعتراض المرأة •• (وان الرجل ليغلي بصداق امرأته حتى يكون لها عداوة) وحتى يقول (كلفت لكم علق القربة) فالكثيرون يضعفون زيادة اعتراض المرأة ••

روى ابو يعلى عن طريق محمد بن اسحاق حدثني محمد بن عبد الرحمن عن مجاهد بن سعيد الشعبي عن مسروق قال :

ومن كل ما تقدم نعلم أن موقف عمر رضي الله عنه واضح وثابت لـم يتغير .. وهو تحديده للمهر بمثل صداق النبي صلى الله عليه وسلم ، بدليل ما رواه نافع : (أن رجلا من ولد عمر زوج ابنة له على ستمائة درهم ، قال لو علم بذلك نكله ..) وهذه القصة بعد حادثة اعتراض المرأة .

آيـة مـن القـرآن :

وردت آية من كتاب الله تعالى في موضوعنا ، وهي قوله تعالى : (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكـم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ..[1])

يفهم البعض من هذه الآية جواز ايتاء النساء مهرا كبيرا .. بدليـــل (وآتيتم احداهن قنطارا ..)

وللعلماء في الجواب على ذلك وجهان :ــ

الوجه الأول ــ انها لا تدل على اباحة المغالاة ، لأنه تمثيل على جهة المبالغة في الكثرة كأنه قيل : وآتيتم هذا القدر العظيم الذي لا يؤتيه أحد ، وهو شبيه بقوله صلى الله عليه وسلم (من بنى مسجدا لله ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة) ومعلوم أن المسجد لا يكون كمفحص قطاة وانما هو تمثيل للمبالغة في الصغر ، وقد قال صلى الله عليه وسلم لمن أمهر مائتين وجاء يستعين في مهره وغضب صلى الله عليه وسلم (كأنـــكم تقطعون الذهب والفضة من عرض الحرة[2]) .

(١) النســـاء ٢٠ ، ٢١

(٢) ذكره أبو حيان فى (البحر والمحيط)

الوجه الثاني ـ أنه لا دلالة فيها على المغالاة لأن قوله تعالى (وآتيتم) لا يدل على جواز ايتاء القنطار ، فلا يلزم من جعل الشيء شرطا لشيء آخر كون ذلك الشرط في نفسه جائز الوقوع كقوله صلى الله عليه وسلم (من قتل له قتيل فأهله بين خيرتين) ..

على أن من يرى وقوع الآية في مدلولها يقول : أنه يجوز للقادر دفع المهر الكثير ، لا تكليف غير القادر بما لا يستطيعه ..

* * *

المفتي يشجب التغالي في المهور

بالغ الناس في فترة من الزمن في التغالي في المهور ، وقاسى كثيرون من ذلك حرجا كبيرا ، فأصدر سماحة المفتي بيانا شافيا ، نشر في صحيفة الندوة في العدد رقم ١٠٩٤ وتاريخ ١٦/٣/١٣٨٢ هـ ، أوضح فيه حكم المغالاة في المهور ، وبسط المشكلة بجميع أصولها وفروعها ، ثم عرض الأضرار التي تنشأ عن المغالاة في المهور ، وأبان هدى النبي صلى الله عليه وسلم في الصداق وانكاره على من زاد على القدر المناسب لحاله ، ودعا الى تيسير المهور وعدم عضل النساء وتزويجهن من الأكفاء ..

دعوتي لتحديد المهور :

على أثر صدور بيان سماحة المفتي كتبت في جريدة الندوة مقالا حول الموضوع ومما جاء فيه (ونحن الآن وبعد قراءتنا لبيان سماحته نتوجه اليه والى العلماء مطالبين باتخاذ خطوة عملية لحل هذه المشكلة بما يضمن المصلحة للجميع ، وبما يقضي على الأضرار والفساد والشر الذي ينشأ عن كثرة المهر ، والتغالي فيه . وخاصة وأن أفكار المواطنين جميعا مستعدة لتقبل الحل الذي يراه سماحته بعد أن اكتووا بنار هذه المشكلة وقاسوا من ضرائها الشيء الكثير .

ان تحديد المهور أصبح لازما وضرورة تؤيدها الظروف الحاضرة ، وما وصلت اليه الحال من تغال في الطلبات والنفقات ، نشأ عنه فساد في الأخلاق وعزوف الشباب عن الزواج وانصرافهم الى التزوج من الأجنبيات ، وتــرك المواطنات عوانس ، لا ذنب لهن سوى ما جناه عليهن مجتمعهن ، وأوفدته الحضارة الزائفة ، وتقليد الآخرين ..

يا صاحب السماحة : لقد أعجبني في بيانكم قول نافع : (أن عمــــر بن الخطاب رضي الله عنه ، كان اذا نهى عن الشر قال لأهله : اني قد نهيت عن كذا وكذا والناس ينظرون اليكم كما ينظر الحدأ الى اللحم فاياكم واياه).

ان الناس دائما ينظرون الى الأمراء والرؤساء ويقلدونهم ، فهل يحــد هؤلاء من غلوائهم ، ويضربون المثل الأعلى في التساهل والاقلال من المهور ؟ انهم لو فعلوا ذلك لقلدهم الناس ولحلت المشكلة . ولكن .. لن يفعلوا ذلك بدون اتخاذ حل فاصل يرضي الجميع ، ويرفع عنهم الحرج والتردد ، ويقضي على السرف والتبذير ..

يا صاحب السماحة : أنتم تعلمون أنه يوجد قبائل كثيرة في جنــوبي المملكة السعودية قد اجتمعوا وحددوا المهر لأفراد القبيلة بمبالغ بسيطـــة تتراوح بين عشرة أريل ومائتي ريال . وقد أقرهم على هذا الاجراء العلمــاء والحكام .. ويكاد يكون الفساد في تلك القبائل معدوما ونادرا ، ولا يوجد بينهم أيامى ولا عاطلات ، فما الذي يمنع أن تحذو حذوهم بقية المملكة ؟ ولماذا لا يوضع نظام يتمشى مع الشريعة السمحة ، ويناسب الوضع الحاضر ويكفل مصلحة الجميع ؟

صاحب السماحة : ان آراء الكثــير من المواطنين تكاد تجتمع على أن أنسب حل لهذه المشكلة تقسيم المهر الى ثلاث فئات :

الفئة الأولى : خمسمائة ريال

الفئة الثانية : ألــــف ريال

الفئة الثالثة : ألفــــا ريال

وأنتم الذين يرجع اليكم في هذا الأمر وتملكون تحقيقه ، فلم يبق بعد هـذا سوى رأيكم الحاسم العملي ، ونرجو أن نسمعه في الوقت القريب العاجل ••)

هذه دعوة لي سبقتها ولحقتها دعوات كثيرة من الكتاب والأدباء ، كلها تحس بألم المشكلة ، وترى أثرها على المواطنين •• وكانت الدعوات متقاربة متفقة في هدفها ••

فكرة تحديد المهور تتبلور :

كانت الدعوات الصارخة للحد من التمادي في التغالي في المهور ، مـن العلماء والكتاب والمصلحين ، بمثابة محاولة أولى للمواطنين ليقلعوا عن هذه العادة السيئة بأنفسهم ، بعد أن لمسوا آثارها ، وأيقنـوا بضرورة التخلص منها والقضاء عليها •

وقد وجدت صداها لدى الجميع ، الا أن التنفيذ يصعب البدء به ، فلم يقلع عن هذه العادة سوى عدد قليل من الناس ، وقد نقول أنهم من الندرة بحيث يعدون على رؤوس الأصابع ••

تحـديد المهـور :

بعد هذا اتخذت الفكرة شكلها النهائي واقتنع العلماء والحكام بضرورة اتخاذ خطوة حاسمة في الأمر ، تحدد خطوات المشكلة وأسبابها وحقيقتهـا ونتائجها • وتحد من تصرفات الذين لا يهمهم أمر غيرهم ما داموا هم قادرين على تحقيق رغباتهم ، وترسم الطريق السليم ليتبعه الجميع •

فكان أول خطوة في ذلك ، أن دعى المفتي الى اجتماع في بيته يحضره أهل الرأي والمعرفة من المواطنين ، نوقش في هذا الاجتماع الأوضاع الاجتماعية القائمة وأحوال الناس •• واستعرضت المشكلة ، وسمعت آراء الحاضرين في الحـل ••

وكانت آراؤهم مجتمعة في وجوب تحديد المهور بفئات مختلفة لتناسب جميع المواطنين •• وكانت كلها ترى تخفيض المهور تخفيضا بالغا يجعلهـا رمزا فقط ••

وكان الهدف من هذه الاجتماعات التأكد من آراء المواطنين ٠

ثم تبعتها خطوة أخرى ، هي دعوة العلماء الى اجتماع آخر استعرضت فيه المشكلة واطلع الحاضرون على آراء المواطنين الذين اجتمعوا قبلهم ٠٠

وقد كانت الرغبة لدى العلماء قوية وجامحة ، مثلها لـدى المواطنين فاستعرضت عدة آراء في الطريق ، والكيفية ، والكم ، وانتهى الأمر الى :

* * *

الحلـــول

ان الحل لهذه المشكلة الاجتماعية الخطيرة قد انتهى الى نوعين :

النوع الأول : القرار الرسمي

حيث صدر القرار التالي من سماحة المفتي ورئيس القضاة :

(ازاء ما لوحظ من عزوف الشباب عن الزواج وما ينجم عن ذلك مـن أضرار اجتماعية وأخلاقية ، ولجوء البعض من أبناء البلاد الى الزواج مـن الخارج ، نتيجة لمغالاة أولياء أمور النساء في المهور ، وكثرة المصاريف التي تستتبعها حفلات الزواج والاسراف في اختيار الملابس والأثاث) وقد تضمن القرار ما يلي :ـ

١ ـ بالنسبة للرياض ومكة وجدة والمدينة وغيرها من كبريات مدن المملكة ، أرتأي أن يكون الحد الأعلى للصداق ألفي ريال ٠

٢ ـ أما بالنسبة لغير من مر ذكره من البلدان ، فيرى أن يكتب لكل قاضي بلدة وأمير ، أن يجمعوا أعيانهم ويخبروهم بالزام ولاة الأمور لهـم بتخفيض المهور ، ثم يستعرضون حالة مواطنيهم ، ويتفقون على مـا يتناسب مع حالتهم ، ملاحظين حالة الأضعف ومتوسطي الحال منهم ، وما تم اتفاقهم عليه يتعين الالزام به ٠

٣ ــ الذين سبقوا في هذا الميدان واتفقوا فيما بينهم من بعض القبائل في الحجاز وتهامة وغيرهم ، بدافع من أنفسهم على صداق يتلائم مع مستوى حالتهم المادية مراعين حالة الأضعف منهم ، فهؤلاء يشجعون على الاستمرار على ما هم عليه ، ولا يمكن لأحد من أفرادهم مخالفة ما اتفقوا عليه •

٤ ــ فيما يتعلق باستعمال آلات اللهو والطرب ، ينبه على الناس بعدم التوسع بهذه الأمور ، وأن لا تكون بشكل فاضح ، مع عدم اختلاط الرجال بالنساء في الحفلات ، وعدم رفع النساء أصواتهن ، وما يتسبب عنه من اقلاق راحة المجاورين ، مع ما يقترن بذلك من بذل الأموال في سبيل غير مشروع للمغنيات وغيرهن •

٥ ــ يلاحظ القضاء على كل ما من شأنه الاسراف والبذخ من تلك التكاليف كالاسراف في الولائم ، والأثاث كغرف النوم والألبسة والحلي الثمينة ونحوها •

٦ ــ يكتفى بوليمة واحدة لا اسراف فيها ، سواء كانت عند الزوج أو الزوجة حسبما يحصل الاتفاق عليه ، مع أن أصل شرعيتها من جانب الزوج •

وبناء على ذلك تلغى الحفائل ، ومن أراد مساعدة أخيه فبنقد ونحوه ، قطعا لدابر الاسراف والمباهاة •

٧ ــ يجعل في كل بلدة لجنة رقابة مرجعها القاضي ، تتولى ملاحظة تطبيق ما تقدم ، ومن تثبت مخالفته فيعاقب بعقوبة مالية ، وتصادر الزيادة ، وترصد للمحتاجين للزواج ، كما يبلغ مأذونو العقود والأنكحة بأخذ التعهد على كل من أراد عقد زواج بأن لا يزيد على ما ذكر •

٨ ــ متى امتنع ولي أمر المرأة من تزويجها بالكفء الذي رغبته ، بدافع الطمع والزيادة على ما تقرر ، فلولي الأمر التدخل في الموضوع بالوجه الشرعي •

ثم أيد هذا القرار بالأمر الملكي الكريم من صاحب الجلالة الملك المعظم رقم ٤٧٠٢ وتاريخ ١٣٨٦/٢/٢٧ هـ .

وبالتعميم الوزاري من سمو وزير الداخلية رقم ٣٣٠٤ وتاريخ ١٣٨٦/٣/١٠ هـ الذي بلغ بموجب الرغبة الملكية الكريمة ونص قرار سماحة رئيس القضاة ..

وقد جاء في خطاب سمو وزير الداخلية ما يلي : (وتضمن الخطاب السامي بأن جلالة الملك يستحسن أن يجتمع أمير كل عاصمة وقاضيها وأعيانها ويشرحوا للناس مضرة المغالاة في المهور وكثرة التكاليف ، وما تضمنه القرار ويحثوهم على العمل بموجبه نظرا لما في ذلك من مصلحة تعود على أبنائهم وفتياتهم ، وأن يوعز لكل أمير بمقتضاه .

ونظرا لأهمية الموضوع للاعتبارات التي نوه عنها سماحته ولأن حل هذه المشكلة الاجتماعية يكون ناجحا متي جاء عن قناعة من أولياء الأمور وفق ما قضى به الأمر الكريم .

فنأمل اعتماد موجبه وبذل المستطاع من الجهد من أجل تحقيق هذه الفكرة النبيلة .. والله الموفق) ..

أثر هذا الحل :

أحدثت هذه الخطوة أثرا طيبا في نفوس المواطنين ، فقد استقبلوه بالبشر والترحاب .. وتناولته الصحافة بالتعليق والتأييد ..

وطبق موجبه لدى المواطنين في كثير من الجهات ، ومن أطرف ما جاء في ذلك أن رجلا قد خطب امرأة ودفع الى أهلها مهرا زائدا عن القدر المحدود .. فما كان منهم الا أن اقتطعوا جزءا منه وبعثوه اليه ، وكان موعد دخوله بزوجته مساء ذلك اليوم ، ففوجىء ، وظن أن أمرا قد حدث وأنهم قد عدلوا عن رغبتهم في تزويجه ، وعندما اتصل بهم أفهموه أنهم فعلوا ذلك تمشيا مع القرار المنظم لذلك ..

فاجتمع لذلك الرجل فرحتان ، فرحة الزواج ، وفرحة التيسير والتوفير والأولوية .

وفي احدى القرى كانت عاداتهم اقامة وليمتين ، احداهما في بيت الزوج ، والأخرى في بيت الزوجة ، وكان المتبع أن تنحر في كل منهما ناقة ، وعندمـا بلغ أمير القرية بموجب هذا القرار كان أحد الناس هناك قد تم زواجه وانتهت الوليمة الأولى التي في بيت الزوجة • فذهب هذا الأمير واستل الناقة الأخرى من عقالها ، وكانت قد أعدت للذبح في اليوم التالي ، وقد حاول الزوج الاصرار على ذبحها ما دامت قد تمت اجراءات الزواج قبل تبليغ القرار ، فرفض الأمير ومن معه من أهل الرأي ، وهدأ روعه الأمير باستعداده لابلاغ المدعوين بذلك•

وأما ما يقال من أن أولياء الأناث لم يعجبهم هذا القرار ، فهذه اشاعـة لا صحة لها ، لأن أولياء الأناث أحرص على تزويجهن من غيرهم ، وليـس هدفهم المـادة مطلقا •

ولم يكن المهر في يوم من الأيام وسيلة للتكسب ، لأنه بمقدار ما يأخذ ولي المرأة سيعطي وينفق ••

هل أدى تحديد المهور الهدف منه ؟ :

نعم •• وبكل تأكيد ، لقد أدى قرار تحديد المهور الهدف منه ، لماذا •• لأن الهدف من تحديد المهور هو رفع الحرج عن المواطنين ، واتاحة الفرصة لمن أراد التيسير منهم ••

فان كثيرا منهم كانوا يرفعون أصواتهم عالية برغبتهم في التيسير والتقليل ولكن اخلاف العرف السائد يوقعهم في حرج ، اذ يقال : ان هذا ينقص من قدر ابنتهم •• فيضطر الزوج الى رفع المهر خشية رد الفعل لدى أهل المرأة •

ويضطرون هم لقبوله لئلا يقال عنهم أنهم ناقصون أو مهملون •• ولئلا تشعر الفتاة بغمط لحقها أما زميلاتها اللاتي تزوجن قبلها •• ودفع لهن مهـر كثير •• وأشهر ذلك ، طبقا للعادة السيئة السائدة من قبل ، التي يعرض فيها المهـر للزائرات والمتطفلات ••

أما وقد صدر قرار تحديد المهور ، فقد ارتفع الحرج عن الرجال الفضلاء الذين يحبون العمل النبيل ، ويرغبون في الأعمال الانسانية الشاملة .

ولا يعني هذا أنه لا يوجد من لا يعمل بهذا القرار . أو لا يرغب في زيادة المهر ، فان هذه طبيعة البشر الذين يخالفون أوامر وتعليمات خالقهم الـذي أوجدهم من العدم ووهبهم النعم الكثيرة ، فلا يكون هذا حكما على الجميع بل لا يؤثر هؤلاء على أحد .. والكرام دائما قايلون ..

النوع الثاني من الحلول :

أنه على الرغم من أن النوع الأول وهو الحل الرسمي ، قد جاء مناسبا ومؤديا للاهداف المقصودة منه ، الا أن حلا آخر يأتي في مقدمة الحلول ، وهو الحل العملي : الذي كان قائما من قبل ، أو وجد اليوم ، وهو الفعل الـذي يؤديه المرء عن طواعية واقتناع ورغبة صادقة ..

وسأورد منه ثلاثة أمثلة :ـ

الأول ـ

قاضي ينقذ بلدا

في احدى مدن المملكة العربية السعودية سادت منذ سنوات عادة في الزواج غريبة ، هي ضرورة قيام المتزوج باطعام جميـع السكان ، بمعنى أنه يفتح بيت ضيافة جماعية ، ويبقى أياما يذبح الذبائح ، ويوقد القدور ، ويستقبل الناس ، وويل له ان لم يؤد ذلك ، ويقم به خير قيام . وليت الأمر يقتصر على ذلك ، بل انـه يتعداه الى أن يبعث الطعام مطبوخا الى جيرانه وأهل حيه ..

وأثقلت هذه العادة كاهل الناس ، وحرمتهم لذة الزواج . وقلبته من سعادة الى شقاء ، مما أدى الى احجام الكثيرين عـن الزواج خوفا من هذه العادة السيئة ..

واشتكى المواطنون الى أمير البلدة وقاضيها ، هذا البلاء المتحكم الذي انفردوا به عن الناس جميعا • وأقلق ذلك راحة المهتمين بالصالح العام وأجهدوا أفكارهم للوصول الى حل لذلك وبينما هم يفكرون فلا يصلون الى نتيجة ••

وكعادتهم بعد صلاة الجمعة يجتمعون في بيت القاضي ، اذا بفضيلة القاضي يفاجئهم بما لم يكن في الحسبان ، فقد استدعى ثلاثة من الشباب ، وحمد الله وأثنى عليه ، وعقد لهم نكاح ثلاث من بناته •

وبعد قليل ، مدت السفرة ووضع عليها شاتان ، ودعى الحاضرون للاكل على بركة الله •• فهلل الجميع وكبروا وشكروا للشيخ العاقل صنيعه ، وبهذا العمل الجريء الفعلي المفاجيء استطاع هذا الرجل أن يقضي على عادة استولت على الناس سنين عديدة •• وأن ينقذ المواطنين ، ويفسح لهم المجال لبناء حياة زوجية سعيدة ••

الثاني —

قبائل تنقذ نفسها

يوجد في جنوبي المملكة السعودية قبائل ما زالت تحتفظ بحياتها القبلية ، وتسكن مواطنها الأولى •• وهي تبعا لذلك تعرف عدد أفرادها ، وتقوم بينهم علاقات تعاونية مختلفة ، ويوجد لها شيخ ، ومجلس ترتبط به أمورهم الجماعية ، وقد سلكت هذه القبائل تحديد المهور بالنسبة لأبناء القبيلة ، فحددته بمبلغ رمزي بحيث يتراوح بين عشرة أريل وعشرين وخمسين الى مائة •

ومن هذه القبائل : رفيده ، سراة عبيدة ، ربيعة ورفيده ، رجال ألمع ، بنو شهر ، باللحمر ، وباللسمر ••

ولقد زادت بعض هذه القبائل في تنظيم ذلك ، حيث اتخذت عقوبات تطبق على من خالف هذه القاعدة ..

وهذه العقوبات هي : أن يذهب رجال القبيلة الى ثوره الذي يستقي عليه ويحرث أرضه عليه ، فيأخذوه ويذبحوه ويطعموه القبيلة .. أو يكلفوا المخالف للقاعدة بالقيام بمؤنة بيت الضيافة أسبوعا أو شهرا ، مثلا ..

وهذه الحلول العملية النابعة من صميم البيئة تؤدي غايتها ، وتحافظ على النظام ، وتحترم الاجتماع على الخير .. ولهذا فان هذه العادات ما زالت سارية المفعول ، تؤتي ثمارها بنظام واستقرار ..

وقد رفعت من أفكار هؤلاء مشكلة الزواج ، وتفرغوا لغيرها من أمور حياتهم ..

بقي أن يسأل أحدنا هذا السؤال ؟ ألا يكون هذا العمل وسيلة وسببا لكثرة الطلاق والتلاعب بالحقوق الزوجية .. ؟

الجواب .. لا .. لأن من يلاحظ عليه مثل هذا الاتجاه يتحاماه الجميع فلا يزوجونه ..

الثالث —

مواطن يضع النقط على الحروف

أعرف مواطنا فاضلا تقدم أحد الشباب اليه طالبا ابنته فرحب به وفتح له قلبه ، وقبل ما بعثه له مما اعتاد الناس أن يعملوه ، كتجهيز للزواج ، من مدفوع ومنقول ، وتمت مراسيم الزواج ولم يكن فيها ما يدعو للاستغراب ، وسعد الفتى بزوجته ، ابنة ذلك الرجل الفاضل ، الذي كان يستقبلهم هاشا باشا ، وبعد مرور أيام قليلة على الزواج ، زار هذا الرجل زوج ابنته في بيته

الجديد ، ورد اليه عشرة آلاف ريال كان قد قبلها منه .. وقال له : يا بني ، اننا لا نريد المال ، بل نريدك أنت ، فخذ هذا المبلغ واستعن به على حياتك الجديدة ، أما ابنتي فقد جاءها ما يكفيها ، ودعا لهما بالخير ..

ان عمل هذا الرجل نبيل حقا ، فضلا عن أنه يعود بالخير على ابنته التي سيكبرها زوجها نتيجة لعمل والدها ..

أما أنا ، فقد أكبرت هذا المواطن من كل قلبي ، وتأثرت عند سماع خبر فعلته ، واهتز بدني فرحا وسرورا ، لماذا ؟ هل لأنه أعاد المال ؟ لا .. أم لأنه أحسن الى ابنته ؟ ليس هذا وحده ولا ذاك .. بل لأن أثر عمله هذا لا يقتصر عليه ، ولا يقرر مصير عائلة واحدة ، ولكنه يعود بالخير على المواطنين جميعاً .

ففي الوقت الذي يئن الناس فيه من مشكلات الزواج ، ويعقدون الجلسات ، ويشكلون اللجان ، ويكتب الكتاب ، يضع هذا الرجل الحل بيده ، عملا لا قولا ، ويثبت للجميع أنه يمكن القضاء على هذه المشكلة بعمل سهل ميسور .

اننا بحاجة الى رجال يتبعون القول بالعمل ، ويعملون بصمت ، في الوقت الذي يبتعد الناس فيه عن المكارم وأعمال المروءة والشرف ، في غمرة هذه النظرة المتشائمة ، تبدي لنا الأيام ، وتنقل لنا الأخبار ، رجالا أفذاذا يضربون المثل الأعلى في الشهامة والمروءة والنخوة والعمل النبيل .

ولو انني وأنت طبقنا مثل هذا ، مرة تلو الأخرى ، لما كان لدينا مشكلات ولسارت الأمور سيرا طبيعيا ، ولما وجد بيننا عازبون ولا عوانس ، ولهيأنا لشبابنا وشاباتنا حياة زوجية سعيدة ، كلها هناء وسرور ..

* * *

استفتاء في فصل دراسي

زارني مدرس للبنات في المرحلة الثانوية (مكفوف البصر) وتحدث معي طويلا حول مشكلات الزواج •• وطلب مني أن أستمر في الدعوة الى الحد من تقاليد الزواج وغلاء المهور •• وقال : انه يعلم ما لا أعلم عن أفكار البنات وشعورهن ، ومرارة المشكلة لديهن •• وأضاف ، أنه قد أجرى استفتاءا في الفصول التي يدرس فيها •• فكانت البنات يعلن آراءهن بصراحة ووضوح •• ويفصحن عما في صدورهن من رغبة في تيسير الزواج ، والبعد عن المظاهر والتفاخر •• وقد تم الاستفتاء على النحو التالي :ــ

١ ــ ما رأيك في أوضاع الزواج اليوم •• ؟

٢ ــ ما الطريقة التي ترينها كفيلة بحل المشكلة •• ؟

٣ ــ هل تفضلين مهرا كبيرا •• ؟

٤ ــ لو ترك أمر الزواج اليك فماذا تطلبين •• ؟

وكانت الاجابة عن السؤال الأول بالاجماع ••

أن أوضاع الزواج اليوم وطريقة اجرائه غير صحيحة ، وان ما يكتنفها من مظاهر تذهب بجمالها ورونقها ، وتبعد بها عن حقيقتها •• !

أما نتيجة الاجابة عن السؤال الثاني ••

فهي : أن أفضل طريق لحل المشكلة ، البعد عن التفاخر والتقليد وابطال المظاهر التي تزول سريعا ، وترك الولائم التي تكلف الكثير ، والاكتفاء بحفلة هادئة ، يحضرها أقارب الزوجين ، ويقدم فيها طعام يكفي الأقارب من الأسرتين فقط وبعض الجيران •• !

وأما عن السؤال الثالث ••

فقد كان بالنفي المؤكد الحازم •• !

وقد أسهب قسم منهن في تعداد مضار المهر الكثير وأثره على الزوج ، وبالتالي على الحياة الزوجية كلها •• وأكد قسم منهن أن ما يدفع منه نقدا يذهب الى

جيوب بعض الأولياء ، ويضاف الى أرصدة سابقة •• فيكون له رد فعل وتنافر بين الوالد والوالدة ، وكره من الأخوات الصغيرات لاختهن الكبرى التي دفع في زواجها المهر الكثير ، وتطلع من الزوج ليرى أثر المهر الكثير المدفوع فلا يجده في بيته الجديد •• فكله سوء •• وما أريد به وجه الله ••

واستطرد كثير منهن ليؤكدن أن ارتفاع المهر هو السبب في القضاء على حياة كثير من الفتيات ، وبقائهن عوانس ، وهن لا ذنب لهن في ذلك •• ولن يصل اليهن من المهر الكثير الا القليل المدفوع عينا •

وقال قسم آخر : ان ارتفاع المهر فضلا عن انه سبب عدم قدرة بعض الشباب على الزواج ، فانه جعل بعض الأولياء يتطلعون الى الاستفادة من المهر فيمتنعون من تزويج من لا يتوقعون أنه سيدفع مهرا كبيرا •• ونتيجة ذلك مرور الوقت ، وتتابع السنين ، والفتاة في البيت ترقب أمل حياتها ••

وأجاب أكثرهن عن السؤال الرابع ••

بأنه لو ترك الأمر لهن لطلبن من أوليائهن أن يخبروهن عن كل من يتقدم لخطبتهن •• وأن يتركوا لهن المشاركة في اختيار الزوج •• ثم يتم تفاهم بين الأولياء ، يشمل جوانب من الزواج ، والحياة المستقبلة •• ثم يدفع مهر قليل •• رمزي •• ويؤخر مهر ليمنع تلاعب بعض المغرمين بكثرة التزوج ، وليكون سلوة للزوجة عند تفكيرها في انقطاع الزواج لأي سبب •• ويتم الزواج بعد ذلك بيسر وعقل وهدوء •

وقد عرج بعض الطالبات الجريئات على وصف الزوج الذي يتمنينه فقلن : انهن يردن زوجا عاقلا ، متزنا في تصرفه ، قد مارس الحياة وذاق حلوها ومرها •• يدرك قيمة الزواج وحقيقته ، ويشارك الروح التي سيتصل بها في تقدير الحياة الزوجية الجديدة ، ويتعاون معها للوصول بها الى مستوى فاضل مستقر كله سعادة وهناء ••

ثم انبرت احداهن تستأذن لتنصف الرجال ولتقول شيئا عن النساء ..
وكانت منصفة حقا وعادلة في حكمها ، حيث قالت : انها وبنات جنسها يكرهن
الفتيات المائعات اللاتي يخرجن على عادات أمهاتهن وبنات جنسهن ، ويأتين
بأمور مما يسمعن أو يرين ، بعيدة عن مجتمعهن وبيئتهن ، ويكرهن الفتيات
اللاتي يتصورن أن الحياة الزوجية هي مظاهر ، وملبوسات ومفروشات ،
ومركوبات فاخرة ، وتضييع للوقت ، واحراج للزوج أمام أهله ومعارفه ..
وبعد أن انتهت من كلامها صدقها زميلاتها جميعا ..

وبعد أن أملى علي الاجابة، وأنا أكتب بلهف ورغبة وسرور ، لموافقة
هذه الاجابات ما في نفسي قال : ان هذا قليل من كثير مما سمعته منهن ..
وانني أؤكد وجود أفكار طيبة ، وعقول راجحة في صفوف الفتيات .. وأنه لم
يمتنع عن المشاركة في ذلك الاستفتاء أحد منهن ..

فشكرته على هذه الهدية اللطيفة التي أتحفني بها ، ووعدته بأنني سأتحف
قراء كتابي بهذا الاستفتاء الطريف ، أملا في الاستفادة منه ، وتطبيقه ، ومواجهة
المشكلة بحكمة وايجابية تامة ..

ولكن ، هل تسمح لي بسؤال واحد .. ؟ قال : نعم .. قلت : أفكنت
طوال حديثهن ساكتا لا تعلق ولا توجه الاجابات .. ؟ قال : نعم .. لم
أتدخل .. بل تركت لهن الحرية في الحديث .. وأعجبني حديثهن فلم أقاطعه ،
ولم أعلق عليه .. الا بالاستحسان .. وتمني التوفيق والنجاح لهن جميعا .

وبعد .. فهذا رأيهن ، ولا ينبئك مثل خبير ، وهذا أمر يخصهن ،
ويتعلق بهن .. وقد قلن ما يختلج في أنفسهن .. وبقي دورنا نحن ..
فهل نحن عاملون .. ؟

* * *

خاتمة ..

وبعد .. فان موضوعا مهما مثل هذا لا يكفيه بحث واحد ، ولكنه يحتاج لدراسات وبحوث وكتب ، وندوات ، وحملات اذاعية وصحفية ..

واني حينما ساهمت في بحث هذه المشكلة من حياتنا الاجتماعية ، أردت بذلك البدء باخراجها الى دور التطبيق العملي .

ولتكون قطرة يتبعها قطرات ، لتصبح عما قليل غيثا نافعا شاملا من الكتاب والمصلحين ، الذين يحرصون على مستقبل الأمة ، ويهمهم أمر الآخرين ..

وقد حاولت كما ترون أن أضع النقط على الحروف وأن أكون صريحا ، وأن أبحث النقاط الخفية في المشكلة .. وقد تختلف الأعراف والعادات .. فيصبح ما هو غير مستساغ ولا مقبول في زمن ما ، أمرا محتما في زمن آخر ..

ولكني لم أدع في هذا الى سبق الزمن وتعجل الأحداث ، ولكني دعوت الى اتباع سيدنا محمد بن عبد الله وصحابته وأتباعه ، وأنعم بهم قدوة وأكرم بهم سلفا ..

ثم دعوت الى استعمال العقول وعدم تعطيل قدرتها ، وحاربت التقليد واتباع الآخرين دون هدف صحيح ..

وقد أوردت أمثلة واقعية .. وهي تعني نماذج حية ، ولم أقصد بها رجلا أو جماعة بأعينهم ..

وأرجو أن أكون وفقت في الوصول الى ما أريد ، ووفقت لاقناعكم بضرورة التفكير الجاد في هذا العمل العظيم .. وذلك وسيلة للعمل السريع ..

وما توفيقي الا بالله ..

فهرس للموضوعات

* * *

شركة

مطابع

الرياض

☎ ٢٣٤٢٩ - ٢٣٤٣٠

الهدف من

تأليف هذا الكتاب

لقـد
قصدت
من هذا البحث
الدعوة الى تخفيف
العبء الثقيل الذي
أثخن كاهل الشبـاب
والشابات .. وأورث الحسرة
فى صـدور أوليـائهم ..
وقصـدت منـه أيضـا
دعـوة المصلحين
ووضـع أيديهم على
الحـل ليبـدأوا
الطـريق
وسـوف
يتبعهم
الجميع

